العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث الدوافع والأهداف

د / حمزه محمد مصطفي الجندي

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بالإسكندرية

قسم العقيدة والفلسفة والمعارة بجامعة القصيم

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية " بريدة "

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره الكافرون . قال الله تعال : " هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون " [١] كان الإسلام علي مر الحقب والأزمان الماضية مشعل الهداية للمسلمين ، وأساساً لتقدمهم العلمي والحضاري في كل المجالات فأقاموا به دولة ، وأشادوا علي أسسه حضارة ، أثرت علي غيرهم من المجتمعات الإنسانية .

ونظراً لقوة الإسلام الذاتية ، وملائمته لفطرة الإنسان ، دخل كثير من الشعوب فيه ، وبسطت الدولة الإسلامية نفوذها علي كثير من الأقطار ، مما جعل الغرب يفكر جدياً في مواجهة هذا الدين بكافة الوسائل ، فشن حروباً شعواء علي ديار الإسلام عرفت في التاريخ بالحروب الصليبية ، فلما فشلوا في الوصول إلي غايتهم انصرفوا إلي وسيلة أخري ، وهي التشكيك في الإسلام العظيم ، حيلة الضعيف العاجز أمام القوي المنتصر ، وذلك ليحولوا بين الإسلام وبين شعوبهم ، وبينه وبين اعتزاز أهله وتمسكهم به ، وعملهم بهداياته .

وكان من الوسائل التي تبنت حرب الإسلام بهذا السبيل ، الاستشراق والتنصير ، الوسيلتان المكملتان لبعضهما في الدوافع والغايات .

وكيف لا ؟ و الاستشراق حركة ولدت في أحضان التبشير ، وشبت ورضعت وترعرعت من الاستعمار ، وأخيراً لبست مسوح رهبان العلم . ولا أحد ينكر أن الاستشراق والتنصير نجحا في مهمتهما نجاحا كبيراً وحققا كثيراً

[١] سورة التوبة / آية " ٣٣" .

من أهدافهما التي كان لها أوضح الأثر علي العالمين العربي والإسلامي من جهة والغربي من جهة أخري .

ففي المجتمعات العربية والإسلامية سبب الاستشراق ردة فكرية عن الإسلام ، ونجح الاستشراق في إيجاد طبقة من المسلمين مخدوعة بأفكارهم وآرائهم ، وذلك باستقطاب الآلاف من شباب المسلمين للجامعات الغربية طمعاً في الألقاب العلمية ، فرجع هؤلاء الطلاب متأثرين بثقافة الغرب ، ومناهجه وأساليب تفكيره .

كما كتب علماء الغرب آلاف الكتب ، وعشرات الآلاف من الأبحاث والمقالات والتي ما زال الكثير من الباحثين يعتمدون عليها .

وتجدر الإشارة إلي أن اهتمام العالم العربي والإسلامي بالدراسات الاستشراقية حديث العهد ، فقد وجد علماء المسلمين أنفسهم بعد الاستقلال أمام حشد زاخر من كتب المستشرقين والمنصرين وأبحاثهم ، حول القرآن الكريم والرسول صلي الله عليه وسلم والفقه والتشريع الإسلامي ، وكانت تلك الكتب هي المرجع البارز لكل من يريد الاطلاع علي الشرق الإسلامي . دينياً وثقافياً وفكرياً واجتماعياً .

فقد استطاع الغرب النصراني أن يبني ذاته هو أيضاً ، عندما كان الشرق الإسلامي في قمة عصر الازدهار العلمي والثقافي والحضاري ، فترجمت المؤلفات الإسلامية والعربية وخاصة ما يتعلق بالعلوم الإنسانية ، فأنشأ لذلك المعاهد وأرسل البعثات إلي معاهد العلم والمعرفة في الأندلس ومصر والشام .

وأخذ الاستشراق يخطوا خطواته قدماً إلي الارتقاء بالشعوب الغربية نحو التقدم العلمي والحضاري ، فأنشئت مؤسسات للاستشراق ، وتنوعت أساليبه

وتطورت مفاهيمه حتي وصل في القرن التاسع عشر الميلادي إلي قمة ازدهاره وتطوره . وبنفس الدرجة التي ازدهر فيها الاستشراق في القرن التاسع عشر ازدهر العمل التنصيري ، حيث اعتبر علماء اللاهوت هذا القرن العصر الذهبي للتوسع النصراني " فقد لاحظ المؤتمر الكاثوليكي الإفريقي الأول للمبشرين المنعقد في أوغندا فيما بين الثاني والثالث عشر من ديسمبر ١٩٥٣ م ، لاحظ بارتياح أن الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين قد سجلت نجاحاً للهيئات التبشيرية الكاثوليكية في مهامها وجهودها وتعزيز مكانتها ، واتساع نطاقها بشكل لا سابقة له في التبشير " .[١]

إن تيار الاستشراق والتنصير يندفع بقوة منذ أن هزم صلاح الدين الصليبيين ، وهو في اندفاعه لا يحمل غير الغثاء والزبد الذي ينشر بين المسلمين الفساد والضرر، وقد ينتهي بهم إلي غربة كاملة عن دينهم ما لم يقفوا أمامه .

وبما أن الخطوة الأولي لمقاومة أي فكر منحرف أو تيار معاد هو التعرف الدقيق عليه ، وسبر أغواره وجمع المعلومات ومعرفة الأطوار والمراحل التي مر بها ، والمنطلقات التي انطلق منها والأهداف التي يسعي إليها ، من أجل أن نضع أيدينا علي نقاط الاتفاق بين الاستشراق والتنصير ، لذلك كان من الضروري الإجابة علي تلك الأسئلة .

ما هو الاستشراق والتنصير ؟ وكيف نشأ كل منهما ؟ وما هي دوافعها وأهدافها ؟ وما هي العلاقة التي ربطت بينهما ؟ وأيهما أصلُ الآخر هل الاستشراق أصل التنصير أم أن التنصير أصل الاستشراق ؟ كل هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عليها في هذا البحث أسأل الله التوفيق والسداد .

---

[١] ابراهيم عكاشة علي / التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل / ص ٢٣ .

أولاً : أسباب اختيار الموضوع :

١- يعتبر الاستشراق والتنصير مسؤلان مسؤولية مباشرة عن عملية الغزو الفكري المتواصل للثقافة الإسلامية .

٢- الآثار السلبية الكثيرة التي خلفها الاستشراق والتنصير في الفكر الإســـلامي ، هذه الآثار ظهرت بصماتها في العالم الإسلامي ، وفي أنشطتها المختلفة .

٣- دراسة الأساليب التي شكلت منهج كل من الاستشراق والتنصير ، إذ أنه بدراسة تلك الأساليب يتم كشف مخططاتهما ، ومواجهة مؤامراتهما في طمس الإسلام في نفوس أتباعه .

أهمية هذه الدراسة :

١- إن أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها تطلعنا علي الصلة المتينة بين الاستشراق والتنصير ، فكلاهما ينبعث من الكنيسة ويخدمانها علي حد سواء، وتتركز مهمة الجميع في محاولة هدم الإسلام .

٢- تنمية المعرفة بالاستشراق والتنصير ، ومدي خطورتهما علي مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الإسلامي .

٣- ضرورة صد غارات العدو الفكرية المراوغة المخادعة ودحر تحدياتها المتعاقبة .

٤- أيضاً تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تزود الشباب المسلم بما يرسخ يقينه بعقيدته ، ويدعم صمود ه في معارك الفكر المضطربة .

تحديد مشكلة البحث :

يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال الإجابة علي التساؤلات الآتية :

١-ما العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث النشأة ؟
٢-ما العلاقة بينهما من حيث الدوافع والأهداف والأنشطة ؟
٣-كما أن مشكلة البحث تكمن في التنبيه علي أن المنهج العدواني المصاحب للمدارس الاستشراقية والتنصيرية ، والتي وضعت نفسها ضمن مشروع حضاري شمولي ، إنما يتأتي في إطار المركزية الأوربية ، التي تقوم علي مبدأ أهلية وأحقية الإنسان الأوربي وحده ، في التمدن والتقدم ونفي هذه القابلية عن غيره .
٤-إلي أي مدي نجح الاستشراق والتنصير في أداء المهمة المنوطة بهما ؟

منهج البحث :

المنهج في هذا البحث هو المنهج الوصفي والتحليلي ، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي والمقارن، والنقدي عند الحاجة .

وقد اشتمل البحث علي :مقدمة و تمهيد وثلاث مباحث :

المقدمة وفيها : أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومشكلة البحث ، وأخيرا المنهج .

التمهيد : تحديد المصطلحات .

المبحث الأول : ملامح الاستشراق والتنصير من حيث البداية ، والمراحل الأساسية ، ومدي العلاقة بينهما .

المبحث الثاني : العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث الدوافع .

المبحث الثالث : العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث الأهداف .

المبحث الثالث : العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث الأنشطة .

قائمة المراجع .

أرجو أن يكون هذا البحث نافعاً لطلاب العلم والله من وراء القصد .

التمهيد"

تحديد المصطلحات "

لعله من المفيد و الضروري أن أؤكد أولاً علي توضيح مصطلح كل من الاستشراق والتنصير حتى يتسنى لنا الدخول في معالجة هذا الموضوع برؤية واضحة وبمقصود لا يستدعي الحيرة أو التساؤل ، ولسنا في هذا الصدد في مقام إحصاء ما قدمه الباحثون من تعريفات ، وإنما نعرض أبرزها علي أن يكون التركيز علي ما له صلة بموضوع البحث .

المطلب الأول : تعريف الاستشراق :

إن مصطلح الاستشراق وما يتصل به من الكلمات المشابهة نحو مستشرق وغيرها ، يعد من التسميات الحديثة وإن كان مدلولها غير حديث . ويقرر إسحاق موسي الحسيني أن لفظ استشرق ومشتقاتها مولدة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة ORIONTALISM ثم استعملوا من الاسم فعلاً فقالوا استشرق وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي والمدققون يؤثرون استعمال : علماء المشرقيات بدلاً من مستشرقين ، ويؤثرون استعمال : عرباني لدارسي اللغة العربية ، مقابلة للفظة ARABIST ولكن لفظ استشرق ولفظ مستشرق هي الأكثر شيوعاً . [١]

وعلي الرغم من التحفظات الكثيرة التي يواجهها هذان المصطلحان المستشرق و الاستشراق فإنهما شائعان شيوعاً كبيراً ، عززه ظهور طائفة من

[١] راجع أحمد سمايلوفيتش / فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر / ص ٣٠ / منشورات دار الفكر العربي / ١٩٩٨ م . راجع أيضاً موسي اسحاق الحسيني / الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه / ح ١ / ص ٢٥ ، ٢٦ / مطبعة الأزهر / ١٩٦٧ م .

الكتب في الاستشراق والمستشرقون أبرزها كتاب إدوارد سعيد ، " الاستشراق " عام ١٩٧٨ م .

١-تعريف مصطلح الاستشراق في اللغة :

من الواضح أن كلمة " الاستشراق " مشتقة من مادة شرق ، يقال شرقت الشمس شرقاً وشروقاً : إذا طلعت . والشرق مصطلح فلكي يدل علي الجهة التي تطلع فيها الشمس . [١] **ولكن هل من الممكن تحديد المفهوم الجغرافي للشرق ، الذي انكب المستشرقون علي دراسته ؟ إن تحديد هذا المصطلح جغرافيا غير ممكن . ولعل أحسن تفسير لكلمة الشرق ما ذكره أحد الباحثين حين قال : " أما الغرب فهو اصطلاح حديث جرينا فيه علي ما اصطلح عليه الأوربيون في عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلي شرق وغرب ، يعنون بالغرب أنفسهم ويعنون بالشرق أهل أسيا وأفريقيا الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم . وجرينا نحن علي هذا الاستعمال . "** [٢]

٢- معني مصطلح الاستشراق عند الغرب :

يمكن أن نبدأ بتعريفات المستشرقين أنفسهم لهذا المصطلح فهم أصحابه ، ومن هؤلاء الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه ، المستشرق" مكسيم رودنسون "الذي أشار إلي أن مصطلح الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلي " ايجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق " . [٣]

---

[١] راجع مجمع اللغة العربية / المعجم الوسيط / ج١ / ص ٤٨ / ط القاهرة / ١٩٦٠ م . راجع أيضاً ابن منظور / لسان العرب / ج ١٠ / ١٧٣ / ط الثالثة / دار صادر بيروت / ١٤١٤ه .

[٢] محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٥٨ / ط أولي / ١٣٩٢ه – ١٩٨٣ م .

[٣] جوزيف شاخت وكليفوردبوزورث / تراث الإسلام / ترجمة د محمد رهير السمهوري ، د حسن مؤنس ، د إحسان صدقي العمد / ج ١ / ص ٦٤ / تعليق وتحقيق د شاكر مصطفي / مراجعة د . فؤاد زكريا / سلسلة عالم المعرفة / الكويت/ ١٩٧٨ م .

و المستشرق الانجليزي "آربري " يعتمد تعريف أكسفورد الذي يعرف المستشرق بأنه " من تبحر في لغات الشرق وآدابه " .[١] ويعرف جودي علم الشرق بأنه " علم من علوم الروح يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها " .[٢]

٣- تعريف مصطلح الاستشراق عند علماء المسلمين :

قلنا سابقاً إن مصطلح الاستشراق وما يتصل به يعد من التسميات الحديثة ،وإن كان مدلولها غير حديث . يقول أحمد حسن الزيات : " يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ، ولكنه في العصور الوسطي كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم . إذ بينما كان الشرق من أدناه إلي أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم ، كان الغرب من بحره إلي محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح " .[٣]

ويعرف البعض الاستشراق بأنه : " حركة تبدو في ظاهرها علمية ، فهي تحاول دراسة التاريخ الشرقي ولكنها تبغي في الحقيقة من وراء هذه الدراسة التعرف علي منابع تراثنا الشرقي ، ثم تحاول صرف أهله عنه ليجرفهم تيار الحضارة الغربية " .[٤]

---

[١] آبري / المستشرقون البريطانيون / ص ٨ / تعريب محمد الدسوقي النويهي / لندن / وليم كولينز . / ١٩٤٦ م . راجع أيضاً أحمد سمايلوفيتش / فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر / ص ٢٣.

[٢] ميكائيل انجلو جويدي / علم الشرق وتاريخ العمران / ص ٩ / القاهرة / ١٣٤٩ / المطبعة السلفية ومكتبتها .

[٣] راجع أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربي / ص ٥١٢ / دار نهضة مصر / القاهرة .

[٤] عبد المنعم محمد حسنين / الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش علي دعوته / مجلة الجامعة الإسلامية / العدد الثاني / ص ٧٩ / المدينة المنورة / ١٣٩٧ هـ ١٩٧٦ .

أما أحمد عبد الحميد غراب فقد عرف الاستشراق بأنه "دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون – من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين من شتي الجوانب : عقيدة و شريعة ،وثقافة وحضارة ، وتاريخاً ونظماً ، وثروات وإمكانات .....بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه ، وفرض التبعية للغرب ، ومحاولة تبرير هذه التبعية ،بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية وتزعم التفوق العنصري ، والثقافي للغرب المسيحي علي الشرق الإسلامي " . [١]

ويعرف الدكتور محمد البهي الاستشراق بأنه " بحوث ودراسات في قضايا التراث الإسلامي : في العقيدة..وفي الفقه.. وفي الشريعة.. وفي التاريخ السياسي .. وفي الأمانة والخلافة.. وفي الفلسفة... وفي الاجتماع .. الخ قام بها قساوسة ولاهوتيون بتكليف من الكنيسة ، أو من وزارات الخارجية للدول الغربية أو الشرقية علي السواء ." [٢]**والدكتور البهي يشير إلي أن الاستشراق في بدايته عبارة عن دراسات وأبحاث قام بها قساوسة ولاهوتيون تدعمهم الكنيسة أو الدولة لتعلم اللغة العربية ودراسة الإسلام ولكن سرعان ما امتدت هذه الدراسة إلي الجامعات لتأخذ شكلاً مغايراً للبحث العلمي بالطعن في الإسلام والدين الإسلامي من قبل أشخاص تتلمذوا علي أيدي المستشرقين تدفعهم أهواء الغرب الحاقدين للسيطرة علي العالم يقول : دخل الاستشراق الآن من ليسوا قساوسة أو لا هو يتين وإنما متخرجون في الجامعات ومسيرون في**

---

[١] أحمد عبد الحميد غراب / رؤية إسلامية للاستشراق / ص ٧ / ط الثانية / بيرمنجهام / المنتدى الإسلامي / ١٤١١ه

[٢] محمد البهي / الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة / ص ٣٠ / ط أولي / مكتبة وهبة / القاهرة / ١٤٠١ه - ١٩٨١م .

بحوثهم طبقاً لمنهج الاستشراق العام .[١]وسيتضح ذلك أكثر في الصفحات التالية إن شاء الله .

ويوافق الدكتور" محمد ياسين عربي" الدكتور" البهي "في تعريفه للاستشراق ، بل إنه يشير إلي قطبين سار عليهما الاستشراق الغربي في النيل من الأمة الإسلامية . قائلاً : الاستشراق مغناطيس الحضارة الغربية الذي يتحدد قطبه الموجب في تحليل الفلسفة الإسلامية المترجمة إلي اللغة العبرية واللاتينية والتي أقام فلاسفة الغرب علي لبناتها وهيكلها نظرياتهم العلمية ومناهجهم التجريبية ومذاهبهم الفلسفية ، وخاصة في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي .

أما القطب السالب فيتمثل في تحليل آيات القرآن المترجم للغة اللاتينية ، والذي أدي تحليل معانيه إلي تحالف الثالوث السالب ونعني به ظاهرة التبشير والاستعمار و الاستشراق.[٢]

وبهذا حدد وظيفة الاستشراق في قطبين : قطب موجب يتمثل في الاستفادة من الفلسفة الإسلامية ومناهجها التجريبية دون الاعتراف بمشاركة المسلمين في بناء هذا الفكر ، حيث عمد المستشرقون إلي وصف الفكر الإسلامي علي أنه مجرد وسيلة لفهم التراث اليوناني ، وبالتالي التقليل من دور المسلمين في الجانب الإبداعي . قطب سالب يتمثل في ترجمة آيات القرآن الكريم لا من أجل الفائدة ولكن من أجل النيل من الدين الإسلامي .

---

[١] المرجع السابق / ص ٣١ وما بعدها .

[٢] راجع محمد ياسين عربي / تأملات في بناء المجتمع الإسلامي / ص ٥٥ / طرابلس / منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / ط الثانية / ١٩٩٠ .

ويرى معهم الشيخ محمد الغزالي " أن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث ، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد " . [١]

وجاء تعريف الاستشراق في الموسوعة الميسرة بأنه " هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما " . [٢] **إذا كان ذلك هو الاستشراق فمن هم المستشرقون ؟**

المستشرقون " هم الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية " . [٣] **وأخيراً يأتي د . محمود حمدي زقزوق ويصف المستشرق بأنه " هو كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغته وآدابه وحضارته وأديانه " .** [٤]

إلا أني أرجح التعريف الأول لأنه هو المتبادر إلي الذهن وخصوصاً لدي غير المتخصصين ، لعل هذا راجع إلي أن معظم بحوث هذه الفنة تركزت حول العرب والإسلام ، وكانت في بدايتها ذات طابع حاقد مما شد انتباه المسلمين وجعلهم يطلقون لفظ المستشرق علي كل من يتناول علومهم ومعارفهم وحضارتهم بالبحث والتحليل: " إن غمامة من الشك والغموض هي

---

[١] محمد الغزالي / دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين / ص ٨ / القاهرة / ١٣٩٥ م .

[٢] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٣/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

[٣] مالك بن نبي / إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث / ص ٥ / دار الإرشاد بيروت / ط أولي / ١٣٨٨ه – ١٩٦٩ م .

[٤] محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٢٢ / مكتبة الشروق الدولية القاهرة / ٢٠٠٨ م .

التي تسيطر عليك عندما تسمع كلمة مستشرق ....رغم أن هناك صلات متينة متصلة بين العلماء العرب والمستشرقين خارج البلاد " . [١]

يقول د . "فتح الله الزيادي ": " إذا صح هذا التعليل فإن كلمة مستعرب أجدر بأن يوصف بها هؤلاء الذين تخصصوا في دراسة حضارة العرب والمسلمين ، ويكون لفظ المستشرق قد تعين لكل من درس الشرق عموماً ، سواء درس الإسلام أو غيره من الديانات الأخرى ، وسواء درس العرب أو غيرهم من الأمم الأخرى " . [٢]

مما سبق يتضح أن الاستشراق في الاصطلاح اتجاه فكري يعني بدراسة الإسلام والمسلمين في العقيدة والشريعة والسنة والتاريخ ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى . وهذا المعني هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي وهو الشايع في كتابات المستشرقين المعنيين به .

و الاستشراق عند الغرب - علم الشرق - فهو اتجاه فكري يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة ، ولقد هدف الغربيون من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين ، مسلمين أو غير مسلمين ، أن يكون الاستشراق غطاء للهدف الأساسي ، الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين ، لخدمة أغراض التبشير من جهة ، وأغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخري ، ثم لإعداد الدراسات

[١] محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٦١ .
[٢] المرجع السابق / ٦١ .

اللازمة لمحاربة الإســـلام وتحطيم الأمة الإسلامية وتجزئتها وتفتيت وحدتها . [١]

أما كلمة مستشرق بالمعني العام تطلق علي كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله ، أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه . بيد أن هذا الاهتمام لم يكن نابعاً من طلب المعرفة ، بل كان من أجل خدمة أغراض التبشير .

كما أن المستشرق لابد أن يكون غربياً ، ولا فرق بين أن يكون نصرانياً ، أو يهودياً ، أو مسلماً ، أو ملحداً ينكر الدين من أصله ، لكن " نجيب العقيقي " صاحب الموسوعة عن الاستشراق والمستشرقين خرج على هذا الإجماع حينما ذكر بعض الرهبان العرب والشرقيين ضمن المستشرقين ، إلي أن عد نفسه هو من المستشرقين ، مع أنه ولد وتعلم في لبنان . [٢]

وأخيراً تجدر الإشارة إلي أنه أصبح هذا المصطلح بعد صدور كتاب " ادوارد سعيد" مصطلحاً مشبوهاً، ولذلك عمل الغرب علي التخلص من هذه التسمية ولعل الأسباب التي أدت إلي تلوث مسمي " استشراق " كثيرة ، ومن ذلك : ارتباط بعض المستشرقين بالدوائر السياسية والمخابراتية لبلادهم . كما أن بعضهم كان مدفوعاً بأحقاد الماضي التي لم يستطع التخلص منها .

---

[١] راجع عبد الرحمن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها " التبشير – والاستشراق - الاستعمار " / ص ١٢٠ / ط الثامنة / دار القلم / ١٤٢٠ ه – ٢٠٠٠م .

[٢] راجع نجيب العقيقي /المستشرقون / ج ٣ / ص ٢٧٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، / ط الرابعة / دار المعارف مصر .

ففي عام ١٩٧٣ م عُقد مؤتمر المستشرقين الدولي بباريس ليكون آخر مؤتمر دولي يحمل هذه التسمية " ، فقد ألغي مصطلح " استشراق " لما حمل من دلالات سلبية كثيرة علي مدي فترة تاريخية طويلة وصار التجمع يحمل اسم " الجمعية الدولية للدراسات الأسيوية والشمال إفريقية " وأصبحت مؤتمراته تحمل اسم " مؤتمرات العلوم الإنسانية الخاصة بمناطق العالم الإسلامي " . [١]

إلا أنه يجب أن نلاحظ أن الاستشراق بالصورة السابقة إن كان قد خف وزنه ، وفقد تأثيره وفاعليته ، فإنه ما زال له وزنه وفاعليته ولكن في ثوب آخر هو ثوب التبشير أو التنصير ، أي أن المجهودات العلمية الاستشراقية الهائلة انحسرت ، ولا يكاد يبقي علي الساحة الآن إلا المستشرق المبشر الذي يضرب في بلاد الشرق لتحقيق أهداف معينة محدودة . [٢]

وعلي أي حال فإن الارتباط الثقافي بين الاستشراق والتنصير لا يزال قائما ، وسيظل كذلك مهما جرت المحاولات لفك هذا الارتباط . وإذا ذهبنا إلي أبعد من ذلك لرأينا أن " ادوارد سعيد " ينعت الاستشراق بوصفه نمطاً من الإسقاط الغربي علي الشرق وإرادة السيطرة عليه . [٣]

ونستنتج من هذا المفهوم أن الاهتمام بأحوال الشرق ، والكشف عن عقليات شعوبه ، وأسراره ، وأمزجته وحضارته وتلمس مواضع القوة والضعف لهذه الشعوب ، توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار . و بعد انحسار الاستعمار المباشر، أصبح الاستشراق يمهد الأرضية الصالحة

---

[١] راجع ادوارد سعيد / خيانة المثقفين " النصوص الأخيرة " / ترجمة أسعد الحسين / ص ١٢ / دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع / سورية – دمشق / ٢٠١١ ه – ١٤٣٢ م ..

[٢] جابر قميحة / آثار التبشير والاستشراق علي الشباب المسلم / ص ٣٠ / مجلة دعوة الحق / السنة العاشرة / العدد١١٦ / العام ١٤١٢ ه – ١٩٩١م / رابطة العالم الإسلامي / مكة المكرمة .

[٣] راجع ادوارد سعيد / الاستشراق / ص ١٢٠ / ترجمة كمال أبو ديب / مؤسسة الأبحاث العلمية .

للاستعمار الاقتصادي والسياسي والثقافي لشعوب الشرق بصفة عامة ، وشعوب الشرق الأدنى بصفة خاصة .[١] وإذا كان ذلك هو الاستشراق فما هو التنصير ؟

المطلب الثاني : تعريف التنصير :

يتردد مصطلح التنصير في كثير من الكتابات العربية ، وهو مرادف لمصطلح التبشير .والتبشير هو المصطلح النصراني المحبب لحملات التنصير ، وله عند النصارى تعريفات مختلفة بحسب العصور التي مرت بها النصرانية .

أولا: معني كلمة تنصير في اللغة :

قال "ابن منظور " في لسان العرب : التنصير الدخول في النصرانية . وفي المحكم الدخول في دين النصارى . ونَصره : جعله نصرانياً وفي الحديث : " فأبواه يهودانه وينصرانه " .[٢]

ويقول الرازي في مختار الصحاح : " نصره تنصيراً جعله نصرانياً " .[٣]

ثانياً : معني كلمة تنصير في الاصطلاح :

هناك من يعرف التنصير أنه : دعوة الناس للدخول في النصرانية ، فإن لم يدخلوا فيها فليخرجوا من دينهم وبخاصة المسلمون .[١]

---

[١] راجع ساسي سالم الحاج / نقد الخطاب الاستشراقي " الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية "/ ج ١ / ص ٢٠ / دار المدار الإسلامي / بنغازي ليبيا .

[٢] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجهري الفارابي /الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / ج ٢ / ص ٨٢٩ / تحقيق أحمد عبد الغفور عطار / ط الرابعة / دار العلم للملايين بيروت / ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م . راجع أيضاً أحمد مختار عبد الحميد عمر / معجم اللغة العربية المعاصرة / ج٣ / ص ٢٢٢٠ / ط أولي / عالم الكتب / ١٤٢٩ ه - ٢٠٠٨م . راجع ابن منظور / لسان العرب / ج ٥ / ص ٢١٢ ١/ مرجع سابق . والحديث أخرجه البخاري باب " لا تبديل لخلق الله " ١١٤/٦/ح٤٧٧٥.ومسلم باب معني كل مولود يولد علي الفطرة / ٢٠٤٧/٤/ ح ٢٦٥٨.

[٣] راجع زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي / مختار الصحاح / ج١ / ص ٣١٢ / تحقيق يوسف الشيخ محمد / المكتبة العصرية / الدار النموذجية / بيروت صيدا / ط الخامسة / ١٤٢٠ ه – ١٩٩٩م .

وورد تعريفه في الموسوعة الميسرة بأنه "حركة دينية سياسية نصرانية " بدأت في الظهور اثر فشل الحروب الصليبية ؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة علي هذه الشعوب ."[٢] وهذا التعريف غير دقيق ، فالتنصير في مفهومه العام ظاهرة بدأت مع ظهور رسالة عيسي عليه السلام . وسيتضح هذا الأمر أكثر عند الحديث عن مراحل التنصير في المبحث القادم إن شاء الله .

ويقول د . إبراهيم عكاشة : إن المبدأ العام " لمفهوم التنصير ، هو قيام مجموعة من المنصرين باحتلال منطقة معينة ، والعمل علي تنصير سكانها وإنشاء كنيسة وطنية تؤول مسؤولياتها الإدارية والمالية تدريجياً للأهالي الذين يقومون بدورهم بنشر النصرانية في المناطق التي لم يصل إليها المنصرون .[٣]

وهو تارة إرسال مبعوثين ليبلغوا رسالة الإنجيل لغير المؤمنين بها ، أو محاولة إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها ، أو إيصال الأخبار السارة إلي الأفراد والجماعات ليقبلوا يسوع المسيح مخلصاً ، وأن يعبدوه من خلال عضوية الكنسية ، وفي حال عدم إمكان ذلك ، السعي إلي تقريب

---

[١] راجع كونويزيقلر / أصول التنصير في الخليج / ص ٧ / ترجمة مازن مطبقاني / نشر مكتبة ابن القيم في المدينة المنورة .

[٢] مانع بن حماد الجهني / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب / ص ٦٦٥ / م٢/ ط الخامسة / دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع / ١٤٢٤ ه – ٢٠٠٣م .

[٣] إبراهيم عكاشة علي / ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي / ص ٢٦ / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / دار الثقافة والنشر بالجامعة / ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م .

المعنيين من الأفراد والجماعات من الحياة النصرانية بما في ذلك صرفهم عن دياناتهم بشتى الوسائل والأساليب . [١]

ويظهر جلياً الترابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة تنصير . فالمحصلة النهائية هي إدخال الناس في النصرانية ، وإقناعهم بأنه الدين الأمثل لهم ، وخاصة بعض المسلمين الذين يجهلون الفرق بين الإسلام وبين النصرانية المحرفة السائدة .

وحتى يتقبل الناس هذا العمل الجديد عليهم سماه أهله " التبشير " لما لهذه الكلمة من أثر جيد في النفوس ؛ ولذلك فهي أشهر كلمة مرادفة للتنصير ، مع أن التبشير في اللغة مأخوذ من البشري والبشارة، وهي تكون بالخير ، وقد تستعمل في الشر إذا قيدت به [٢]**. قال تعالي : " فبشرهم بعذاب أليم " .** [٣] **وقد يكون هذا علي قولهم : تحيتك الضرب وعتابك السيف .**

ولا شك أن استعمال التبشير اسماً للتنصير هو من باب الخداع وإن كان مع الأسف صار شيئاً مسلماً به عند أكثر الباحثين . ولكن من الأفضل أن نسمي الأشياء بأسمياتها ولذلك فإننا نري أن استعمال كلمة التنصير هي الأكثر دلالة علي المطلوب من كلمة التبشير التي استعملها بعض الكتاب للتعبير بها عن ذلك الجهد الذي يبذله المتخصصون من النصارى في بث تعاليم الإنجيل بين المسلمين وغيرهم بهدف تنصيرهم وتحويلهم من الإسلام

---

[١] راجع محمد عثمان صالح / النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير" دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات / ص ٤٧ ، ٤٦ / مكتبة ابن القيم / ط أولي / ١٤١٠ه – ١٩٨٩م / المدينة المنورة .

[٢] راجع محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضي الزبيدي / تاج العروس من جواهر القاموس / ج ١٠ / ص ١٨٥ / مجموعة من المحققين / دار الهداية .

[٣] سورة آل عمران آية "٢١" ، سورة التوبة آية " ٣٤ " .

إلي النصرانية وإتباع تعاليم الإنجيل بدلاً من القرآن والولاء للكنيسة بدلاً من المسجد .[١] وإن كنا استعملنا لفظ التبشير ، فقد استعملناه مجارة لهم حيث يكون كلامنا وكلامهم منصباً علي حقيقة واحدة وعمل واحد ، وإلا فعملهم هذا شر بالنسبة لنا ، وليس فيه أدني بشارة ، بل هو إنذار بعاقبة وخيمة لديننا وبلادنا .

ويقول "علي جريشة " عن التبشير : " فقد استخدم علماً علي تلك الحملة التي تولتها الصليبية فيما أسمي " بتعليم الدين المسيحي ونشره " . ويقول : إنه تعريف غير دقيق ، لأن التبشير حمل في نفس الوقت أهدافاً أخري غير " تنصير غير النصاري " .[٢]

ويقول الأستاذ " عبد الرحمن حنبكة الميداني " : "هو تعبير أطلقه رجال الكنيسة علي الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية ، لا سيما المسلمين "[٣].

وفي الحقيقة أن مهمة التنصير : ليست إدخال المسلمين في المسيحية وإنما هي إخراجهم من الإسلام ، وتغريب الإسلام والمسلمين ونقلهم إلي دائرة الأممية ، والفكر الغربي في مختلف أساليب حياتهم ، وخاصة في مجال التعليم والتشريع والثقافة والاقتصاد ، المهم هو إخراج المسلم من دينه دون إدخاله في أي دين آخر .[٤] وأنا أتفق مع د ." أنور الجندي " في تعريفه للتبشير الذي يقول فيه : التبشير تنظيم تربوي تعليمي

[١] راجع محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة / ص ٩٦ / دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع / ١٩٩٩م .
[٢] علي جريشة / الاتجاهات الفكرية المعاصرة/ ص ٢٣ / ط الثالثة / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع /١٤١١ ه – ١٩٩٩م / المنصورة .
[٣] عبد الرحمن حبنكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة / ص ٥٣ / مرجع سابق .
[٤] راجع أنور الجندي / التبشير و الاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥/ ص ٥ / دار الأنصار بالقاهرة / ١٩٨٣م .

يجري فيه إخراج المسلمين من عقيدتهم ومفاهيمهم ، عن طريق استغلال الطلاب والمرضي ، وتحويل عقائدهم ، وتحطيم معنوياتهم ، وتنشئة أجيال ممسوخة مبلبلة العقائد مضطربة الثقافة منكرة لقيمها وتراثها ولغتها وتاريخها . [١]

والحق الذي لا مرية فيه أن التنصير الذي تستعر حملاته علي بلاد المسلمين ما هو إلا تكفير لمن ينخدع به ، وإخراج له من الإسلام إلي الكفر . فالنصرانية المحرفة الحالية والسائدة هي كفر بنص القرآن الكريم . قال تعالي : " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة " . [٢]

وقد يكون مفيداً للدراسين لهذه القضية أن يعلموا أن سياسة التنصير ، والعمل علي بث تعاليم الإنجيل بين المسلمين ليست جديدة ، وأنها ليست وليدة هذا العصر ، بل هي قديمة قدم الإسلام نفسه ويمتد تاريخها إلي عصر النبوة ، ثم عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية ، ولا زالت مستمرة إلي يومنا هذا .

وأقدم وثيقة سجلت لنا تاريخ الحوار المسيحي الإسلامي هو القرآن الكريم ، وهذا الحوار كان يشتد أحياناً ليأخذ شكل الصراع الذي يذهب إلي مستوي الكيد والتدبير لقتل النبي صلي الله عليه وسلم ، وقد سجلت لنا "سورة آل عمران وسورة المائدة "، حقيقة هذا الصراع ، وكيف فضح الله النصارى حين بدلوا وحرفوا ما أنزل الله علي عيسي عليه السلام ، وبين

---

[١] راجع أنور الجندي / أهداف التغريب في العالم الإسلامي / ص ٣٠ / الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية / سلسلة قضايا الأمة .

[٢] سورة المائدة / آية " ٧٣ " .

أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عن الله. وقد تصدي لها علماء الإسلام عبر هذه القرون العديدة . [١]

ولقد نشطت المؤسسات التنصيرية في العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين مما لفت أنظار المفكرين المسلمين لخطورة هذه القضية وسوء عاقبتها مما دعا البعض إلي رصد هذه المؤسسات وتتبع تاريخ هذا النشاط التنصيري في القرنين الآخرين .

. ولا شك أن الإسلام منذ ظهوره في القرن السابع يمثل تهديداً لكنيسة يسوع المسيح ، [٢]ولذلك شن قساوسة النصرانية الغربية حرباً ضد الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية ، حرب إبادة للإسلام واقتلاع له من الجذور جاعلين من ذلك حرباً مقدسة لتحقيق " نبوءة مقدسة "وهي عودة المسيح ليحكم هذا العالم علي أنقاض الإسلام والمسلمين .[٣]

إلا أن الخيبة التي منيت بها تلك الحروب الصليبية في الوصول إلي غايتها وموت الدوافع التي كانت تدفع الناس للالتحاق بها مهد الطريق لفكرة جديدة وهي "استمالة المسلمين واجتذابهم بطرق سلمية ودية وهذه الفكرة هي أساس مبدأ التبشير المسيحي " . [٤] فالتنصير ما هو إلا وجه من وجوه الحروب الصليبية ومظهر من مظاهرها يوضح ذلك ما وصف به الأب اليسوعي " ميز" سياسة فرنسا الدينية في الشرق حينما قال : إن الحرب الصليبية التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى

---

[١] راجع محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة / ص ٩٧ / مرجع سابق .
[٢] راجع التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي /ص ٣١٠ / الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨ .
[٣] راجع محمد عمارة / إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي / ص ١٠ / ط أولي / ١٩٩٢ / سلسلة بحوث الثقافة والحضارة .
[٤] عبد الرحمن حنبكة / أجنحة المكر الثلاثة / " التبشير ، الاستشراق ، الاستعمار " ص ٢٩ .

أيامنا ، ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحروب الصليبية وبالحنين إلي تلك الحروب حية في نفسها " .[١]

فالتبشير إذن خطر ديني بالغ علي كيان الأمم الشرقية ، أكبر من أن يكون خطراً سياسياً أو اقتصادياً، فالقضية بالنسبة لنا إذن قضية بقاء أو فناء .

ولا شك أن الاستشراق حركة مستقلة ، والتنصير حركة أخري مستقلة ، والواقع أن مصدرهما بدأ في أول أمرهما واحد ، ثم اختلفا في طريقهما ، ولكن التعاون والتنسيق بينهما ظل مستمراً وقائماً وما يزال . ويمكن أن يوصف الاستشراق بأنه المصنع والتبشير بأنه الموزع للشئ الذي يصنعه الاستشراق .

و الاستشراق بعضه متصل بالنفوذ الاستعماري ، وبعضه متصل بالثقافات الغربية المسيحية وبعضه نزيه ، وبعضه متعصب ، ولذلك فإن معطياته في الأغلب نافعة لتغذية حركة التبشير ، وكانت آرائه مادة خام يستطيع التبشير استعمالها في دعم خططه ، وإثارة الخلافات والشبهات حول الإسلام .وقد عمل عدد كبير من رجال الاستشراق في مجال التبشير ، ويكاد مجال العمل واتجاهه أن يجمع بين حركة التبشير وحركة الاستشراق الخاضع للنفوذ السياسي والغربي فهو يلتمس نفس الأهداف .[٢]

إلا أن كلمة الاستشراق ربما أعطت طابعاً من التكريم من حيث وجود مجموعة من المستشرقين يعملون في نزاهة ، إلا أنه بعد الحرب العالمية الثانية اعتصمت حركة التبشير بحركة الاستشراق بعد أن اسودت

[١] د . مصطفي خالدي ، عمر فروخ / التبشير والاستعمار / ص ١٢٧ / مرجع سابق .
[٢] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥ / ص ٧٤مرجع سابق .

صفحتها وبعد أن كشفت الأحداث أعمالها المهينة ، ومن هنا خلعت حركة التبشير أثوابها واختفت وراء ستار الاستشراق ، ولذلك فنحن في أشد الحاجة إلي التنبيه إلي الفوارق بين المستشرقين المنصفين والمبشرين الذين لبسوا ملابس الاستشراق . [١]

وأخيراً فقد اجتهد النصارى في فرض نصرانيتهم بالقوة في العالم الإسلامي ، تحت مظلة الاستعمار حيناً ، وتحت مظلة الضغوط السياسية والاقتصادية حيناً آخر .

هذا هو التعريف بكل من الاستشراق والتنصير، ولقد حاولنا تغطية المصطلحين بشكل واسع ، لكي يتضح للقارئ حقيقة كل منهما . وإذا كان هذا هو التعريف بهما ، فمتى كانت بدايتهما ؟ هذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي إن شاء الله .

[١] المرجع السابق / ص ٧٥ .

المبحث الأول

ملامح الاستشراق والتنصير من حيث البداية، والمراحل الأساسية ،ومدي العلاقة بينهما

المطلب الأول : بداية الاستشراق :

إن المستعرض آراء العلماء والباحثين ممن كان لهم جهد مشكور في هذه القضية ، يري أنهم متباينون في تحديد نشأة الاستشراق .

فبعضهم يرجع هذه النشأة إلي إبان ظهور الإسلام عندما وقف الرسول صلي الله عليه وسلم علي جبل الصفا وقال : أيها الناس إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلي الناس عامة . وهذا الرأي لا يجد استجابة له عند الكثير من رجال الفكر . [١]

كما يرجع بعض الباحثين بداية الاستشراق إلي بداية احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة وغزوة تبوك . [٢]

بينما يري د . البهي : أن الاستشراق انتشر في أوربا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني التي قادها " مارتن لوثر ". [٣]**والتي اتجهت إلي الكتب العبرانية ، بحكم شروحها الدينية ، ومنها إلي الدراسات العربية والإسلامية ، وأنها تلاقت مع أبعاد التبشير في غاية واحدة ، وكونا أقنوماً واحداً ، اعتمدت الرغبة الدينية المسيحية فيه ، طريقة التبشير للوصول إلي**

---

[١] راجع عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق / ص ٩٢ / دار الجيل بيروت .

[٢] راجع محمد حسين هيكل / حياة محمد / ص ٢٩ / ط الرابعة عشر / دار المعارف القاهرة .

[٣] راجع محمد البهي / الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي / ص٥٢٢ / ط الخامسة / مكتبة وهبة .
ومارتن لوثر : " ١٤٨٣ ه – ١٥٤٦ م " راهب ألماني وقسيس وأستاذ لاهوت ومطلق عصر الإصلاح في أوربا ، ومؤسس البروتستانية . من أهم مؤلفاته ترجمة الكتاب المقدس . راجع جورج طرابيشي / معجم الفلاسفة " الفلاسفة - المناطقة – المتكلمون اللاهوتيون – المتصوفون " ص ٥٨٧ / دار الطليعة بيروت / ط الثالثة / ٢٠٠٦ م .

المسلمين وجذبهم إلي معتقدها ، واستطاعت أن تحدث تغييرات في التصورات الذهنية والعقلية ، وأن تؤثر في الأنشطة السياسية والقضايا الأيدلوجية . [١]

ورأي فريق آخر أن البداية الحقيقية للاستشراق كانت مع الحروب الصليبية ، حيث بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والصليبية الغربية ، واستحكم العداء بين المسلمين والغرب الصليبي أيام " نور الدين زنكي " و " صلاح الدين الأيوبي " إثر الهزائم المتكررة التي ألحقها هؤلاء القادة العظام بالصليبين ، وكل هذا دفع الغرب إلي الانتقام بكل الوسائل . [٢]

ومما يؤكد هذا ، ذلك الخبر الذي أورده "ابن الأثير " المؤرخ المعروف في كتابه "الكامل" ومفاده : أن بطريرك بيت المقدس خرج مع كثير من مشهوري الصليبيين وفرسانهم ، حين فتح صلاح الدين بيت المقدس ، ولبسوا السواد ، وأظهروا الحزن علي ذهاب بيت المقدس من بين أيديهم ، ودخلوا بلاد الإفرنج يطوفونها ، ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم علي الأخذ بالثأر. وصوروا المسيح ، وجعلوا صورة رجل عربي أمامه ، والعربي يضرب المسيح ، وقد جعلوا الدماء تسيل علي صورة المسيح ، وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبي الإسلام ، وقد جرحه وقتله . [٣]

ويؤكد" جاردن "أن دوافع هذه الحروب الصليبية " التي تمخضت عنها الحركة الاستششراقية كانت سياسية توسعية وإن تســربت بالمسوح

---

[١] راجع منذر معالقي / الاستشراق في الميزان / ص ١٦ / المكتب الإسلامي / ط أولي / ١٤١٨ه – ١٩٩٧ م .
[٢] راجع قاسم السامرائي / الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية / ص ٢٠ / دار الرفاعي للمنشورات والطباعة والتوزيع / ١٤٠٣ه - ١٩٨٣ م
[٣] راجع ابن الأثير / الكامل في التاريخ / ج ٩ / ص ٢٠١ / القاهرة / ١٣٤٣ ه .

الدينية ، فيقول : لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين بالسيف ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي . والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام . [١]

وهناك من يري أن حركة الاستشراق الفعلية بدأت برحلة "جربيردي أورياك "-" ٩٣٨ – ١٠٠٣ " - من فرنسا سنة ٩٦٧ م إلي قرطبة طلباً للحكمة في عهد الحكم الثاني وقد مكث في الأندلس ثلاث سنوات يدرس العلم علي يد علماء المسلمين ، ثم عاد إلي روما فذاع صيته في كل أوربا ، وتولي كرسي تدريس اللغة العربية ، ثم أصبح البابا " سلفستر الثاني " ، وهكذا يتضح لنا أن تأسيس الاستشراق في القرن العاشر الميلادي ارتبط بالكنيسة وتبشيرها . حيث استطاع هذا البابا أن يؤسس مركز الدائرة لحركة الاستشراق في الكنيسة المقدسة في روما. [٢]

وهناك قسم آخر يرد نشأة الاستشراق إلي الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين في الأندلس ونصاراها خاصة بعد استيلاء " الفونسو السادس " علي طليطلة سنة ٤٨٨ه – ١٠٨٥م فنشأت حركة التوبة والتكفير عن الذنوب ، وكان مركزها في" دير كلوني " الذي سيطر عليه طائفة الرهبان البندكتيين برئاسة الراهب "بطرس المحترم " الفرنسي ، ومن هذا الدير انطلقت حركة تغيير النصرانية الأسبانية بكل كتبها وطقوسها ، وجعلها نصرانية كاثوليكية رومية صرف ؛ ذلك لأن هؤلاء الرهبان رأوا أن النصرانية الإسبانية أصابها الفساد لاكتسابها الكثير من

---

[١] راجع عمر فروخ ، مصطفي خالدي / التبشير والاستعمار في البلاد العربية " عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلي إخضاع الشرق للاستعمار الغربي " / ص ١١٥ / ط الثانية / منشورات المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / ١٩٨٦ م .

[٢] محمد ياسين عربي / الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي / ص ١٣٧، ١٣٨/ ط أولي / المجلس القومي للثقافة العربية / الرباط / ١٩٩١ م ، راجع نجيب العقيقي / المستشرقون / ج ١ / ص ١٢٠ / ط الثالثة / دار المعارف / ١٩٦٤م .

الإسلام ، ولذا بدؤا حربهم الصليبية ضد نصرانية أسبانيا وإسلامها علي السواء . [١]

ورأي قسم آخر أن نشأة الاستشراق كانت لحاجة الغرب للرد علي الإسلام أولاً ، ثم لمعرفة أسباب هذه القوة الدافعة لأبنائها ثانياً ، وخاصة بعد سقوط القسطنطينية ، ومن ثم وصول العثمانيين إلي أسوار فيينا ، إذ وقف الإسلام سداً مانعاً من انتشار النصرانية . [٢]

أما كلمة مستشرق فقد ذكر " رودنسون " أنها ظهرت في انجلترا حوالي سنة ١٧٧٩م ، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م ، وأدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨ م . [٣]

وعلي أي حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية ، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلي اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وعاداته . [٤]

فقد كان الإسلام مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوربا علي المستويات كافة ، باعتباره مشكلة علمية عميقة استدعي الأمر اتخاذ إجراءات معينة كالحروب الصليبية والدعوة إلي النصرانية والتبادل التجاري ، وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب بإلحاح العديد من الأسئلة في هذا الصدد ، وذلك يقتضي معرفة الحقائق التي لم يكن من السهل معرفته . [٥]

---

[١] راجع قاسم السامرائي / الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية / ٢١ / مرجع سابق .
[٢] راجع عمر فروخ ’، مصطفي خالدي ، / التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ص ٣٦، ٣٧ . مرجع سابق .
[٣] راجع جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث / تراث الإسلام / ص ٦٤ مرجع سابق .
[٤] راجع د محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص ٢١مرجع سابق .
[٥] المرجع السابق / نفس الصفحة .

وعلي أية حال فإنه إذا كانت الآراء حول نشأة الاستشراق وبدايته محل أخذ ورد ، أو قبول أو رفض ، فإنه يمكننا أن نقرر مطمئنين أن ظهور الاستشراق لم يتأخر عن القرن العاشر الميلادي " الرابع الهجري ، إذ كان النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس إبان فتحهم لها مصدر نشأة الاستشراق ، وسبب انطلاقته .وسيتضح هذا الأمر أكثر عند حديثنا عن مراحل الاستشراق .

هذه هي آراء الباحثين حول بداية الاستشراق ، ومن الواضح عدم اتفاقهم علي بداية محددة . وإذا كان ذلك بداية الاستشراق فما هي بدايات التنصير ؟

المطلب الثاني :نشأة التنصير ومراحله :

الدعوة إلى التنصير موجودة منذ قرون طويلة وليست وليدة هذا العصر لكن التنصير شئ أخر أوسع بكثير من مجرد الدعوة إلى النصرانية فقط فهو عبارة عن بسط الهيمنة النصرانية على العالم أو اغلب العالم على الاقل واحتلال الأراضي الإسلامية والهيمنة عليها دون الحاجة إلى سفك الدماء ، وقد حصل لهذا المفهوم تطورات بحسب ما حصل للنصرانية الأولي من تحريف بدأ علي يد " شاؤول أو بولس" في القرن الأول الميلادي ، وأدخلت عليها ثقافات يونانية وهندية وفارسية فأصبحت النصرانية خليطاً من الوحي الإلهي الذي أنزله الله تعالي وأفكار البشر .

حيث توجد في العهد الجديد نصوص محرفة تحث النصارى صراحة علي العمل التنصيري ، فقد جاء في الإصحاح الثامن والعشرين لإنجيل متى : " فاذهبوا ، وتلمذوا جميع الأمم وعمدوا باسم الأب ، والابن وروح القدس

وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلي انقضاء الدهر " .[١]

وجاء في الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقص : " وقال لهم اذهبوا إلي العالم أجمع ، وكرزوا بالإنجيل للخلقية كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن " .[٢]

وتطور الأمر إلي إنشاء علم خاص بالتنصير من بين علوم اللاهوت عرف باسم " المسيولوجيا " وصارت دراسة هذا العلم من مواد تأهيل المنصرين للعمل في الخارج حتى يكون المنصر أكثر ملائمة للمكان والزمان اللذين يعمل فيهما .[٣]

وانطلاقاً من تعاليم الكنيسة ، وتخطيط رجال اللاهوت بدأ الرهبان نشاطهم لنشر النصرانية في وقت مبكر واتبع ذلك النشاط مناهج وأساليب متعددة تفاوتت بتفاوت الأزمنة ومستوي المجتمعات الحضاري . ويمكن تقسيم مسار النشاط التنصيري إلي ثلاثة أطوار هي :

<u>الطور الأول</u> : اتسم العمل التنصيري في هذا الطور بالعمل الهادئ القائم علي الإقناع الفردي ، والوعظ العام في الكنائس ، والأماكن العامة لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه وهو الأسلوب الذي اتبعه الأوائل ويطلق علماء اللاهوت علي هذا الأسلوب من التنصير " المنهج الكلاسيكي " . وقد انتهي هذا الأسلوب منذ زمن بعيد وكان نطاق نشاطه العالم اليوناني والروماني القديمين حول البحر الأبيض المتوسط .

---

[١] إنجيل متى ٢٨: ١٩ – ٢٠ .
[٢] إنجيل مرقص ١٦ : ١٥ – ١٦ .
[٣] راجع إبراهيم عكاشة علي / ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي / ص ١٠/ مرجع سابق .

الطور الثاني : دخلت النصرانية في عهد قسطنطين الأول في حلف مع حكومات الرومانية ، ثم مع الحكومات الفرنجة ، والجرمانية ، وبدأ التنصير يأخذ منعطفاً آخر يقوم علي مبدأ " إكراه الرعايا علي اعتناق دين ملوكهم " وقد ساد هذا المبدأ في العصور الوسطي ، وبدأت منذئذ مسيرة التنصير بالقوة ضد الشعوب غير النصرانية ، وبذلك ظهر ما يعرف بالغرب النصراني .

وتمثل الحروب الصليبية التي تعرض لها العالم الإسلامي بشقيه المشرقي والمغربي ، صورة معبرة لأسلوب التنصير بالقوة الذي كان سائداً في فترات العصور الوسطي . وإبان القرن الرابع عشر الميلادي ، ركد النشاط التنصيري الذي كان يسير بخطي حثيثة في السابق وكانت أوربا قد تنصرت جميعها .[١]

ومن ناحية أخري سيطر الإسلام " الخلافة العثمانية " علي أجزاء كانت تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية في غربي أسيا وشمال أفريقيا ، ولم يبق للنصرانية سوي بعض الكنائس الشرقية التي نعمت بالاستقرار في ظل الحكومات الإسلامية المتلاحقة .[٢]

الطور الثالث : اتخذ التنصير في الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي أسلوباً جديداً في الدعوة إلي النصرانية حيث فتح مجال كبير للنشاط التنصيري ، حيث استطاعت أسبانيا والبرتغال أن تضع أقدامها علي ثلاث قارات لا تعرف عن النصرانية شيئاً . ومنذ البداية كان المكتشفون يصطحبون معهم الرهبان من طوائف الدومنيكان والفرانسسكان حاملين معهم شعار الصليب إلي الأراضي التي تم اكتشافها .

---

[١] المرجع السابق / ص ١١، ١٢ .
[٢] المرجع السابق / ص ١٢ .

وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي زالت فكرة اقتصار العمل التنصيري علي المتخصصين من الرجال والنساء التابعين للطوائف الدينية ، وبدأت أشكال جديدة تأخذ مكانها في الكنائس والأسقفيات والمعاهد اللاهوتية . وكان ذلك نقطة تحول هامة في تاريخ التنصير ، خاصة عند بروز حركة المنصرين العلمانيين التي أضافت للعاملين في التنصير قوة كبيرة من الشباب رجالاً ونساءً . [١]

ويري د . "علي جريشة " أن نشأة التنصير تأخرت عن نشأة الاستشراق ، وإن صاحبته وأثرت فيه وتعاونت معه ، وكانت نشأة الاستشراق قبل الحروب الصليبية بحثاً في أحوال الغزاه – المسلمين –الذين وصلوا إلي قلب أوربا ومن قبلها إلي الأندلس . ثم صحب الحروب الصليبية خدمة لها ، وتبصيراً وتوجيهاً ، ثم كان بعد الحروب الصليبية كذلك .

وهنا يلتقي التنصير مع الاستشراق فالتنصير كان ميلاده مع فشل الحروب الصليبية حيث توجه التنصير إلي العقيدة الإسلامية في محاولة لقتلها بالفكر والبحث ، بعد العجز عن قتلها بالسلاح والفتك ، وكذلك مع الاستشراق في أكثر ميادينه . ، وفي أكثر مراحله ، وحماه الاستعمار العسكري ، والنفوذ السياسي الذي يسيطر علي البلاد . [٢]

وأنا لا أتفق مع د ." علي جريشة " في أن نشأة التنصير تأخرت عن نشأة الاستشراق ، فالاستشراق وجد من أجل التنصير وليس العكس ، وليس أدل علي ذلك من أن التحصيل الكنسي يسبق التحصيل الاستشراقي ، ولم نسمع

[١] راجع ابراهيم عكاشة علي / التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النطرون / ص ٢٧٠ .
[٢] راجع علي جريشة / الاتجاهات الفكرية المعاصرة / ص ٢٤ / مرجع سابق .

مثلاً أن مستشرقاً علمانياً ، أتم تحصيله الاستشراقي ثم عاد إلي الكنيسة للتعلم . وسوف يتضح هذا الأمر أكثر في الصفحات القادمة إن شاء الله .

تلك هي نشأة التنصير، و المراحل الأساسية التي مر بها ، فما هي يا تري تلك المراحل التي مر بها الاستشراق ؟ .

المطلب الثالث : مراحل الاستشراق ومدي علاقته بالتنصير :

أولاً: مرحلة الاستشراق الدينية " ما قبل الحروب الصليبية " الانبهار بالحضارة العربية والاتجاه إليها :

بعد أن خرج العرب من جزيرتهم وأسسوا إمبراطوريتهم الواسعة ، من أسبانيا والمحيط الأطلسي غرباً إلي حدود الصين شرقاً . أعجب الأسبان بثقافة العرب وحضارتهم وأرسلت الدول الأوربية الرهبان والقساوسة لطلب العلم والمعرفة من جامعات أسبانيا ، فتعلم الطلبة الوافدون اللغة العربية . [١]

ففي القرن الخامس الهجري أرسل ملك انجلترا " جورج الثاني " ابنة أخيه الأميرة " دوبانت " علي رأس بعثة من ثمانية عشر فتاة من بنات الأمراء والأعيان إلي أشبيلية ، وأرسل مع البعثة كبير موظفي القصر الملكي ومعه رسالة إلي الخليفة ، يثني فيها علي معاهد العلم الإسلامية ووقعها بكلمة " من خادمكم المطيع جورج " ،وأرسل له هدية ثمينة ورد هشام بهدية ورسالة مهذبة . [٢]

[١] راجع دومينيك سورديل / الإسلام في القرون الوسطي / ص ٢٣١، ٢٣٢ / ترجمة علي المقلد / ط أولي / دار التنوير للطباعة والنشر / ١٩٨٣ .

[٢] راجع عبد الجليل شلبي / معركة التبشير والإسلام / ص ٢٣٧ / ط أولي / مؤسسة الخليج العربي / ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

وكان إعجاب الغربيين بالحضارة الإسلامية عظيماً ، حتى أن كاتباً مسيحياً متعصباً ذكر في القرن التاسع الميلادي أن المسيحيين يقبلون علي كتب العرب بنهم وشغف ويجمعون منها مكتبات ضخمة ، في الوقت الذي يحتقرون فيه الكتب المسيحية وينبذونها . [١]

إلا أن اتصال الغرب بالحضارة العربية اتصالاً فعلياً ومؤثراً ، تمثل في ظهور طلائع المستشرقين ومعظمهم من الرهبان ومن أوائلهم الراهب " جربيردي "٩٦٧ " ، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين : الأولي في روما مقر خلافته ، والثانية في وطنه " دايمس " بفرنسا . وقيل أنه أول من صنع ساعة ، وبث الأعداد العربية في أوربا التي كان ينقصها رقم الصفر وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية . [٢]

واستمرت حركة الترجمة قوية من العربية إلي اللغة اللاتينية، وبعد حركة الترجمة كون الأوربيون نخبة من العلماء والمتخصصين في الدراسات العربية والإسلامية ، وهؤلاء ممن نعتبرهم بحق المستشرقين . ولم يكن الدافع إلي هذه الدراسات الاستفادة العلمية فقط ، ولكن هدفها الحقيقي هو الإطلاع علي التراث الإسلامي والقواعد الإسلامية بغية دراستها أولاً ، وتفهمها ثانياً ثم الرد عليها ثالثاً . [٣]

والراهب الذي يهمنا هنا في حديثنا عن مراحل الاستشراق هو "بطرس المبجل " ١٠٩٢- ١١٥٦ "رئيس دير كلوني الشهير ،الذي زار أسبانيا

---

[١] راجع سعيد عبد الفتاح عاشور / حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطي / ص ٢٦٦ / دار النهضة العربية / ١٩٧٦.

[٢] راجع نجيب العقيقي / المستشرقون / ج ١ / ص ١٢٠ ، راجع أيضاً محمود محمد الطناحي / مدخل إلي تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف / ص ٢٠٧ / ط أولي / ١٤٠٥ ه – ١٩٤٨م / مكتبة الخانجي القاهرة .

[٣] راجع ساسي سالم الحاج / نقد الخطاب الاستشراقي " الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية / ج ١ / ص ٤٣.

واستقر رأيه علي ترجمة القرآن إلي اللغة اللاتينية بغية فهمه أولاً . ثم الرد عليه ثانياً . [١] وأنجزت هذه الترجمة عام ١١٤٣ ، وكان الهدف من وراء هذه الترجمة هو هداية المسلمين – حسب اعتقاده – إلي محاسن الديانة المسيحية ، وهذا الهدف نراه تبشيرياً بالدرجة الأولي ، ويعتبر هذا الراهب من أوائل المبشرين الذين استخدموا العلم لرد المسلمين عن دينهم ، ومن هنا كان استنتاجنا أن التبشير هو الأصل الحقيقي للاستشراق وليس العكس ، كما يذهب أكثر الباحثين . [٢]

واعتبر هذا الراهب أن الإسلام في حقيقته ما هو إلا هرطقة مسيحية ولابد من مواجهة هذه الهرطقة ، التي شكلت حسب زعمه الأصل والمنبع لكل الهرطقات .[٣] وهكذا اتخذت الدراسات الإسلامية في أوربا منذ بدايتها الوجهة التبشيرية الصرفة ، وأهم الأدوات التي تساعد علي تحقيق هذا الهدف هم المتخصصون في هذه الدراسات لمحاربة الإسلام بالحجة والفكر والبرهان . ، ولا يمكن أن تتحقق الأهداف التي رسمها الرهبان إلا إذا تعلم المبشرون الأداة التي توصل أفكارهم للمسلمين ، والتي تتمثل في اللغة العربية ، ومن هنا جاءت الدعوة إلي تعلم اللغة العربية للإطلاع علي الثقافة المدونة بها أولاً ، واستيعابهاً ثانياً ، ومحاربة الإسلام بها ثالثاً . إن الاستشراق في أول أمره ما هو إلا أداة من أدوات التبشير.[٤]

---

[١] راجع عبد الرحمن بدوي / موسوعة المستشرقين / ص ١١٠ / ط الثالثة / دار العلم للملايين / ١٩٩٣ م ، راجع أيضاً د . عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية " دراسة نقدية "/ ص ٢٠ / ترجمة وتقديم قاسم السامرائي / ١٤١١ه – ١٩٩١م . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

[٢] راجع ساسي سالم الحاج / نقد الخطاب الاستشراقي " الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية / ج١/ ص ٤٤.

[٣] المرجع السابق / ص ٤٤ .

[٤] المرجع السابق / ٤٥ .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الرعيل الأول من المستشرقين كان دافعه الأول لدراسة العربية واللغات الشرقية ، هو تبشير المسلمين بالديانة المسيحية، والرد على الفتوحات العربية الأولي التي استولت علي أجزاء واسعة من أوربا . ومن هنا جاء الدعوة ملحة إلي شن حروب صليبية كان لها أبلغ الأثر في تطور الاستشراق والتبشير .

ثانياً : مرحلة الاستشراق العسكري وانتشار ظاهرة التبشير أو مرحلة ما بعد الحروب الصليبية :

من الحقائق التاريخية المسلم بها ،أن الغرب جرد حملات غزت الشرق الإسلامي باسم الصليب وتحت رايته ، وكان رجال الكنيسة في أوربا يدفعون الملوك والشعوب إلي هذه الحروب ، فاتخذت طابعاً دينياً شكلاً وموضوعاً ، ولم تكن حماس رجال الدين المسيحي في هذه الحملات عفوياً ولكنه كان قصداً إلي الانتقام من غزو الإسلام لقلب أوربا. ثم قصدوا بعد الانتقام إلى إدخال المسلمين في المسيحية ذاتها . وقد يكون الاستعمار والاستغلال الاقتصادي من أهدافها ، ولكنه بالتأكيد ليس الهدف الأول . [١]

و يعتبر الاستشراق في هذه المرحلة من نتائج الحروب الصليبية ، حيث أن الصليبين الذين انهزموا عسكرياً ، وفشلوا في غزو المسلمين بقوة السلاح ، بدأوا في التفكير جدياً لغزو المسلمين فكرياً حتى يتمكنوا من زحزحتهم عن عقيدتهم الراسخة التي كانت السبب الرئيسي في تصديهم للصليبيين ومما يؤيد هذا تلك الوثيقة التي تتضمن وصية القديس" لويس "ملك فرنسا ، وقائد الحملة الصليبية الثامنة ، التي انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع لويس في الأسر

[١] راجع علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ١٦ ، ١٧ / ط الثانية / ١٣٨٩ ه ــ ١٩٧٨م / دار الاعتصام .

علي أيدي المصريين في مدينة المنصورة ، وبعد أن عاد إلي فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلا النصر والتغلب علي المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد ، وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات والأعراض ، ولذلك لابد من البحث عن سبيل آخر يمكن عن طريقه تحويل التفكير الإسلامي ، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري ، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر الإسلامي . [١]

وتتمثل الخطوط العريضة التي رسمها الملك لويس التاسع لمواجهة الإسلام في :

١- تحويل الحملات العسكرية إلي حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه ، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذي يستخدم في المعركة .

٢- العمل علي استخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب .

٣- العمل علي إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقوته الحربية ، ولدعوته السياسية والدينية ، ومنها يمكن حصار الإسلام. [٢]

وسار الأوربيون في طريق تنفيذ وصية القديس لويس ، في محاولة تزييف العقيدة الإسلامية ، وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان عن طريق التفرقة بين العقيدة والشريعة ، وتصوير الإسلام بصورة الدين الذي يبذل غاية همه في العبادة كالمسيحية ، إلي أن وصلوا إلي

[١] المرجع السابق / ١٩ ، راجع أيضاً الظاهرة الاستشراقية / ص ٦٦.
[٢] راجع عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق / ص ٢٣.

الفصل بين الدين والدولة ، وفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن في أصالة عقيدتهم وجوهر دينهم . [١]

وإذا كان الاستشراق لا يقوم إلا علي أساس معرفة اللغات الشرقية التي هي الوسيلة للتعرف علي عقائد وحضارات الشرق ، فإن التنصير يتفق مع الاستشراق في هذا الصدد ، وقد كان هناك اقتناع تام لدي دعاة التنصير في القرن الثالث عشر بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات التنصير أن تؤتي ثمارها بنجاح . ولم يكن من السهل في ذلك الزمان فصل الاستشراق عن التنصير . فالدافع الديني كان هو السبب الأول في نشأتهما . [٢]

وبرز إلي عالم الفكر فلاسفة ومفكرون أوربيون طالبوا أيضا بالبحث عن الحل العسكري وكان علي رأس هؤلاء " روجر بيكون " الذي رأي أن الحرب المقدسة عديمة الجدوى للاستيلاء علي الشرق ، وأن أفضل وسيلة لنشر المسيحية بين المسلمين هي " التبشير " السلمي والموعظة الحسنة ، ولبلوغ هذا الهدف لابد من توافر شروط ثلاثة هي :

١- معرفة العلوم الإسلامية .

٢- دراسة مقارنة الأديان .

٣- دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها . [٣] **ومن هنا كان الاهتمام بالدراسات الفلسفية للتسلح بسلاح الجدل والمناظرة المبنية علي اليقين**

---

[١] راجع د . علي محمد جريشة ، د . محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ١٩ ، ٢٠ .

[٢] راجع محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٢٨ .

[٣] راجع يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط / ص ١٣٤ / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة / القاهرة ، راجع أيضاً يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة / ص ٤٥ / ط الخامسة / دار المعارف / مكتبة الدراسات الفلسفية .، راجع محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٢٨ .

والبرهان . فكان لزاماً علي الغربيين الإطلاع علي أسس الفلسفة الإسلامية . [١]

كل ذلك أدي إلي إصدار منشور في ٢٢ من يونيه ١٢٤٨م إلي مدير جامعة باريس بإنشاء كراسي للدراسات العربية والإسلامية ، وكانت أول مدرسة أنشئت للدراسات الشرقية في أوربا هي مدرسة طليطلة التي أنشأها مجلس المبشرين ، وكانت تدرس بها اللغتان العربية والعبرية لإعداد من سيقومون بالتبشير بين اليهود والمسلمين . [٢]

وكان من أبرز من تخرج في مدرسة الدراسات الشرقية التي أنشئت في طليطلة " ريموند لل" الأسباني الذي تعلم اللغة العربية وجال في البلاد الإسلامية وناقش العلماء المسلمين في بلاد كثيرة . [٣]

وبفضل جهوده قضي مجمع " فيينا " الكنسي بالموافقة علي تدريس اللغات الشرقية في خمس من جامعات أوربا الكبرى ، وهي باريس ، أكسفورد ، الجامعة البابوية ، وبولونيا ، و سلمنكا سنة ١٣١٢ ، ثم توسعت أوربا في فتح أقسام جديدة وإنشاء كراسي أستاذية في عدد من جامعات الغرب . [٤]

---

[١] راجع جمال الدين الشيال / التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر الأوربي في عصر النهضة / ص ٨ / دار الثقافة .

[٢] راجع ساسي سالم الحاج / نقد الخطاب الاستشراقي / ص ٥١ .

[٣] راجع محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٢٩، راجع أيضاً د . عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية " دراسة نقدية " / ص ١٩. .

[٤] راجع محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٢٩. راجع أيضاً نذير حماد / الرسول صلي الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين / ص ١٢ / مطبوعات رابطة العالم الإسلامي .، راجع محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة / ٨٨ . راجع أيضاً عبد المتعال محمد الجابري / الاستشراق وجه للاستعمار الفكري / ص ٨٠ .

وهذا المؤتمر هو نفس المؤتمر الذي يعده كثيرا من العلماء والباحثين الانطلاقة الحقيقية لبداية الاستشراق . ويقول د عبد اللطيف الطيباوي : " الغرض من هذا القرار كان تنصيرياً صرفاً وكنسياً لا علمياً . " [١]

وعندما ازداد الاضطهاد المسيحي للمسلمين في أسبانيا ، وما تبع ذلك من حرق المكتبات ، شعر المستنيرون منهم بهذا الخطأ الفادح فاتجهوا إلي تجميع التراث العربي الإسلامي ، فدعا " ألفونس " ملك قشتالة أحد المتمكنين من اللغة العربية ، ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم ، فجمع هذا الرجل طائفة من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة ، وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية إلي لغة الفرنجة ، ثم قدمها لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها وبعث بها هدية إلي جامعة باريس . [٢]

وقد نشط هذا الدير في حشد القوي الغربية للاستيلاء علي أسبانيا من أيدي المسلمين بكل الوسائل ، وكان أول أسقف علي طليطلة بعد استيلاء النصارى عليها من رهبان هذا الدير " دير كلوني " ومن هذا الدير انطلقت حركة إصلاح عمت النصرانية الأوربية ، وجعل منه الرهبان - بعد أن آووا إليه في القرن الثاني عشر – مركزاً خطيراً لدراسة الثقافة العربية ، وقصد رئيس الدير نفسه " بطرس المحترم " الأندلس فيمن قصدها مستزيداً من علومها ، ولما رجع إلي ديره طفق يصنف الكتب في الرد علي علماء الجدل المسلمين . [٣]

ولكن أهم شيء حدث في تلك الفترة بعد أن تحققت مغامرة قرطبة واستولي الفونس السادس عليها ،" أصبحت مكتباتها المتنوعة والمتعددة بما

---

[١] عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية / ١٨٣ .
[٢] راجع د . علي جريشة ، د. محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ١٩ .
[٣] راجع نجيب العقيقي / المستشرقون / ج١ / ص ، ١٢٣.

في ذلك أمهات الكتب بمكتبة الحكم الثاني [١] هي المصدر الثابت للاستشراق ولتأسيس العلوم والمعارف الغربية . وإذا كان للشيطان حيله المتعددة في تغريب الإنسان عن وجوده فإن الاستشراق بدأ بتغريب العلوم العربية وذلك بتنسيبها للفكر اليوناني القديم أو بتنسيبها إلي مترجميها " .[٢]

ويؤكد " يوحنا فيك "علي أن دراسة القرآن واللغة العربية قد جاءت كمنطلق للاستشراق بسبب فكرة التبشير حيث أن انتصار الصليبين بقوة السلاح لا يؤدي إلي تنصير المسلمين ، بل اعتقدت الكنيسة في أن قوة الكلمة هي الأساس لتحقيق التبشير في ضوء العقل ، ومن هنا جاءت فكرة السيطرة علي نبع العقيدة الإسلامية ألا وهو القرآن الكريم .[٣]

ويقول د محمد ياسين عربي : " من أبرز معالم الاستشراق التبشيري في القرن الثاني عشر ترجمة معاني القرآن ووضع معجم عربي لاتيني ، وهكذا أمكنت السيطرة علي آليات المعرفة والاعتقاد ، فلولا ترجمة القرآن المبكرة لما تطور علم اللاهوت والإصلاح الديني علي النحو الذي ظهر به . وأما المعجم فقد كان نقطة انطلاق للدراسات للغة العربية وعلومها كوسيلة لمعرفة كنه العلوم العربية ونقلها ."[٤]

---

[١] وقد قدرت الكتب التي كانت في مكتبة الحكم في قرطبة بنحو ٤٠٠٠٠٠ أربعمائة ألف كتاب ، وكان الفهرس الذي يحوي دواوين الشعراء مكوناً من ٤٤ مجلداً بكل مجلد عشرون صفحة . راجع عبد الجليل شلبي / معركة التبشير والإسلام / ص ٢٣٠ .

[٢] محمد ياسين عربي / الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي / ص ١٣٨.

[٣] راجع د محمد ياسين عربي / الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي / ص ١٤٥ .

[٤] المرجع السابق / ص ١٤٤.

ثالثاً : الاستشراق في عصر النهضة الأوربية

وفي القرن السادس عشر الميلادي أدت النزعة الإنسانية في عصر النهضة الأوربية إلي دراسات أكثر من ذي قبل وشجعت البابوية الرومانية دراسات لغات الشرق من أجل التنصير . [١]

ومع الزمن توسع الأوربيون بالنقل والترجمة في مختلف الفنون والعلوم من طب وهندسة وفلك ، وبعد اختراع الطباعة أنشئت في أوربا مطابع عربية لطبع عدد مـــن الكتب التي كانت تدرس في المدارس والجامعات الأوربية . [٢]

"وبغض النظر عن التفاصيل في شتي العلوم العربية التي نقلت إلي الغرب عن طريق مدارس جنوب إيطاليا كالطب والصيدلة والزراعة والكيمياء والعلوم الطبيعية بصورة عامة والصناعة والفلسفة بفروعها فإن الدافع الأساسي لنقل هذا التراث هو التبشير الذي اتخذ من الاستشراق وسيلة تحقق الغاية ، إذا أن معرفة الحضارة الإسلامية هي الأساس لانتصار الصليب علي الهلال ، وإذا كان الصليبيون قد ولو الأدبار بعد صراع دام أكثر من مائتي سنة ، فإن الغرب قد انتصر بالفعل في هذا الصراع من خلال سلبه لحضارة الشرق وهذا ما يفسر نشاط الترجمة في القرن الثاني والثالث عشر " . [٣]

وفي القرن الســـابع عشر بدأ المستشرقون في جمع المخطوطات الإسلامية ، ومن الجدير بالذكر أن قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج عام ١٦٣٦م قد نص صراحة علي خدمة هدفين أحدهما تجاري والآخر

---

[١] راجع محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٢٩ ، راجع أيضاً د . عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية / ص ٢٠ .

[٢] راجع د . علي جريشة ، د . محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري في العالم الإسلامي / ص ١٩ .

[٣] . د محمد ياسين عربي / الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي / ص ١٤٢/ مرجع سابق .

تنصيري " ...نحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلي الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها ولكننا نهدف أيضاً إلي تقديم خدمة نافعة إلي الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية ، وإلي تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلي الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات . " [١]

وحين جاء القرن الثامن عشر وهو الوقت الذي بدأ فيه الغرب باستعمار العالم الإسلامي والاستيلاء علي ممتلكاته ، أصدر المستشرقون العديد من المجلات ، وتم الاستيلاء علي الكنوز العربية المتمثلة في المخطوطات والوثائق الهامة، وهذا هو سر وجود الكثير من نوادر المخطوطات العربية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا .

وبمرور الزمن ازدادت هذه الحركة تنظيماً ، وتم عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة ١٧٨٣ م وذلك بغية الوصول إلي هدفهم المنشود الذي هو حلقة من سلسلة التأمر والكيد علي الإسلام والمسلمين . [٢]

ومن هذا يتضح أنه كان هناك تجاوب متبادل بين الاستشراق والتنصير ، إن لم يكن هناك تماثل في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمبشر الإنجيلي . ويمكن القول بأن التحالف بين الجانبين لا يزال مستمراً بشكل من الأشكال حتى العصر الحاضر . [٣] **"ولم ينحل قط ، إلا أن الفريقين تعلما أن يراجعا أهدافهما ومناهجهما لغرض تحويرهما مع العصر ، ولكن ظل هناك تيار عميق من الفكر**

---

[١] محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٣١ . ، راجع أيضاً د . عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية / ص ٢١ .

[٢] راجع محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٦٨ .

[٣] راجع د . عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية / ص٢٣ .

السائد علي حاله – ربما غدا الآن كامناً في أعماق ما وراء الوعي – يذهب إلي أن الإسلام لابد أن يعاد تشكيله في قوالب " غربية " أو " عصرية " أو " إصلاحية " . وهكذا صلي المنصرون وتكهن المستشرقون الفرضيات وكتب الفريقان أو واصلوا الكتابة بدرجات متفاوتة من الدهاء وُبعد النظر في تناول الموضوع . " [١]

رابعاً : الاستشراق فى العصر الحديث :

وفي القرن التاسع عشر صارت أوربا سيدة لمنطقة إسلامية شاسعة يسكنها ملايين المسلمين ،وقد تبع هذا الاستعمار السياسي تغلل ثقافي أكثر حيلة ودهاءً ، فتدهور العالم الإسلامي وأصبح مصير مدنيته وحضارته في أيدي النصارى . ، وفي ظل هذا الوضع أصبح العمل التنصيري دون قيود . " فتقاسم التعليم المدني التنصيري الاتجاه إلي تغذية نزعة التشكيك في أسلوب حياة المسلمين " . [٢]

" ومن الملاحظ علي هذه المرحلة هو الانخفاض الواضح في مستوي عمل المستشرقين ، حيث لم نعد نري ذلك النوع من المستشرقين الذين يفنون أعمارهم في تحقيق مخطوط ، أو جمع شتات مؤلف مندثر في أماكن متفرقة . علي أن المنهج الاستشراقي في الكتابة والبحث لا يزال حتي يومنا هذا، يسير علي نفس المنهج الذي بدأ به ، كما أن الارتباط بين المستشرقين وبين الدوائر الاستعمارية والكنسية لا يزال قائماً حتي الآن ، بل ربما زاد هذا الارتباط كثيراً

[١] المرجع السابق / ص ٢٤ .
[٢] د . عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية / ص ٢٢ .

نتيجة للدعم المستمر من الحكومات الغربية ، والذي استطاع معه المستشرقون تغيير أساليبهم ووسائلهم ، وتطويرها بتطور الظروف والأحوال ." [١]

مما سبق يتضح أن الاستشراق في مراحله جميعاً، قد ارتبط بمؤسسات تبشيرية ، وأغراض استعمارية ومسؤوليات دولية أجنبية لم تخف علي أحد من الباحثين المتتبعين . وهو عامل مع الكنيسة أو مع وزارات الاستعمار ، لا يستطيع أن يخلص إلي الحق وإنما يؤدي دوره في إثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير لخلق ظاهرة انتقاص العرب والمسلمين .

ويقول" أنور الجندي " هناك محاولة لتقسيم الاستشراق إلي مرحلتين :

١- مرحلة عقدية : وهي المرحلة التي هاجم فيها المستشرقون الإسلام بعنف .

٢- مرحلة علمية : وهو وصف غير صحيح ، ولو وصفت بأنها سياسية لكان أصدق ، إن المفكرين المسلمين يعرفون جيداً أنه في العقدين الآخرين تراجع الاستشراق عن أسلوبه القديم المباشر واستعمل أسلوباً أشد مكراً ، وهو محاولة الدخول للموضوعات من باب التقدير والمدح حتى ينخدع القارئ ويكسب ثقته ، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفيفة متتالية في إطار هذا التقدير العام الكاذب ، ولقد تنبه كثير من الباحثين المسلمين اليقظين وأشاروا إلي خطورته وحذروا من الانخداع له . [٢]

يقول" محمد فتح الله الزيادي " : لا تسلم لهؤلاء الذين يزعمون أن الاستشراق قد تحرر من آثار السياسة والاستعمار والتعصب، وأن عمله أصبح علمياً خالصاً ، وأوضح دليل علي ذلك هي الكتابات المعاصرة والتي لا تختلف في جوهرها عما كتبه المستشرقون قديماً .

---

[١] محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٧٣ ، ٧٤ .

[٢] راجع أنور الجندي / شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي / ص ٩٢/ المكتب الإسلامي / ١٣٩٨ه – ١٩٧٨م .

وجملة القول أنه مادامت نقطة انطلاق الاستشراق هي القول بأن الإسلام ليس ديناً صحيحاً ، وأن محمداً ليس نبياً ، فإن دعوي الاتجاه العلمي الخالص للاستشراق في العصر الحاضر لا يمكن التسليم بها أو تصديقها . [١]

كل ما سبق يوضح لنا العلاقة الوثيقة التي ربطت بين الاستشراق والتبشير ، ونحن في هذه الدراسة لا يعنينا تتبع التبشير وبيان مؤسساته ولكننا نهتم بالعلاقات التي تربطه بالاستشراق ، فما هي باتري الدوافع والأهداف التي جمعت كل منهما بعد أن حاولنا البرهنة علي أصلهما المشترك ؟

ولكن قبل الانتقال إلي الحديث عن الدوافع المشتركة بين الاستشراق والتنصير لابد من الوقوف علي أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الحديث عن نشأة كل منهما .

<u>خامساً : العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث النشأة :</u>

١-كانت نشأة الاستشراق قبل الحروب الصليبية بحثاً في أحوال الغزاة " المسلمين " الذين وصلوا إلي قلب أوربا ، ومن قبلها إلي الأندلس . ثم صحب الحروب الصليبية خدمة لها ، وتبصيراً وتوجيهاً ، وهنا يلتقي الاستشراق مع التنصير ، فالتنصير كان ميلاده مع فشل الحروب الصليبية حيث توجه التنصير إلي العقيدة الإسلامية في محاولة لقتلها بالفكر والبحث ، بعد العجز عـــــن قتلها بالسلاح والفتك ، يصحبة الاستشراق في أكثر ميادينه . [٢]

٢-لم يكن عمل المستشرقين منفصلاً عن عمل المنصرين بل كانت مهمة كل من الطائفتين تدخل في الأخرى .

---

[١] راجع محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٧٥ ، ٧٦ .
[٢] راجع علي جريشة / الاتجاهات الفكرية المعاصرة / ص ٢٧ .

٣-أن طلائع المستشرقين كانوا من النصارى ذوي المناصب الدينية ، وأنهم قد انطلقوا من الكنائس والأديرة .

وقد جد الصليبيون في ذلك الوقت المبكر ونشطوا في الهجوم علي الإسلام وأهله ، وتولي اللاهوتيون النصارى كبر حملات الهجوم ، وكان لهم في نسج المفتريات والأباطيل صولات وجولات ولم يكن لهم من مصدر لتلك المفتريات إلا الخيال والأساطير . وسيتضح ذلك أكثر عند الحديث عن الأهداف المشتركة بينهما .

٤-رعاية الكنيسة : فالاستشراق مثل التنصير نال من البداية رعاية الكنيسة ومباركتها عندما ثبت فشل الحروب الصليبية من خلال انحسار المد الغربي الصليبي بعد جهود قرنين من الزمان ، فاتجهت الكنيسة إلي التنصير من خلال الفكر والثقافة والعلم ، فكان التوجه إلي ما نسميه اليوم بالغزو الفكري في تحقيق ما فشل فيه سلاح الغزو الحربي . [١]

هذا الغزو الذي اتخذ من الاستشراق منطلقاً له ، وسعي من خلاله إلي تشويه الإسلام بطرق شتي ، لا تتعدي كونها جملة من الإسقاطات التي نالت حظاً طيباً من النقاش والرد في زمان إطلاقها وبعده من كثير من المسلمين . [٢]**وكان الهدف من هذه الدعوة هو أن تؤتي محاولات التنصير ثمارها من خلال تعلم لغات المسلمين .وهذا يعني بتعبير أوضح إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلي الدين النصراني .**

---

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور / بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته / ص ١٢ .
[٢] شوقي أبو خليل / أضواء علي مواقف المستشرقين والمبشرين / ص ٢٦٤ / طرابلس / جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / ١٩٩١ م .

٥- أدي كل ما سبق إلي الاستنتاج أن التنصير هو الأصل الحقيقي للاستشراق " وليس العكس صحيحاً كما يذهب أغلب الباحثين " . ومن هذا المنطلق يفهم التوجه إلي تعريف المستشرقين بأنهم " الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين ، ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين ، بغية تحقيق أهداف التبشير والاستعمار " . [١]

٦- أن كثيراً من المستشرقين قد بدؤوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية . [٢]وكان همهم إرساء نهضة الكنيسة وتعاليهما ، ولا سيما في العصور الوسطي . [٣] أي أن هدفهم كان تنصير يا واضحاً . فكأن الاستشراق إنما قام ليغذي التنصير بالمعلومة المنقولة بلغة المنصر ، رغم محاولات تعميم اللاتينية لغة للتنصير .

٧- اتكأ التنصير علي الاستشراق في الحصول علي المعلومات عن المجتمعات المستهدفة ، ولا سيما الإسلامية وخاصة عندما اكتسب مفهوم التنصير معني أوسع من مجرد الإدخال في النصرانية إلي تشويه الإسلام والتشكيك في الكتاب والسنة وغيرها . [٤]وكان فرسان هذا التطور هم المستشرقون .

والآن اتضحت لنا تلك الصلة الوثيقة بين الاستشراق والتنصير من حيث البدايات والنشأة ، ننتقل للحديث عن الدوافع المشتركة بينهما .

---

[١] نجيب العقيقي / المستشرقون / ج ١ / ١٠٤ . مرجع سابق .
[٢] نبيه عاقل / المستشرقون وبعض قضايا التاريخ / ص ١٦٨ ، ١٩٩ / دارسة تاريخية / ١٤٠٣ – ١٩٨٢ م .
[٣] عدنان محمد وزان / الاستشراق والمستشرقون " وجة نظر " / ص ١٧ / رابطة العالم الإسلامي / ١٤٠٤ ه – ١٩٨٤ م سلسلة دعوة الحق ٢٤ .
[٤] أحمد عبد الرحمن السايح / الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي / ص ١٧ / القاهرة الدار المصرية اللبنانية / ١٤١٧ه – ١٩٩٦ م .

المبحث الثاني

العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث الدوافع

يمكن إبراز التلاقي بين الاستشراق والتنصير من حيث الدوافع ، من خلال النظر إلي صلة الاستشراق بالتبشير بالنصرانية ، وإلي صلته بالاستعمار، وقبل أن أفصل هذه الدوافع أود الإشارة إلي أن الاستشراق كان في الأصل محاولة لوقف انتشار الإسلام ، ثم تطور بعد ذلك للقيام بعمل مضاد للإسلام في دياره ، وفي سبيل تحقيق هذا الهد ف تعاونت معه قوي الاستعمار والتبشير والصهيونية ، وفيما يلي خلاصة عن دوافعهم مع العلم بأن الدوافع تلتقي مع الأهداف ، باعتبار أن الدافع يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلي الأهداف الغائية من العمل[1] .وإذا كان كذلك فإننا نستطيع أن نحدد الدوافع خلف قيام الاستشراق والتبشير فيما يلي :

أولاً : الدافع الديني أو المذهبي ضد الإسلام والمسلمين :

عرفنا فيما سبق أن الاستشراق بدأ بالرهبان والقساوسة النصارى ، ثم استمر بعد ذلك ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت المسيحي ، وكان هؤلاء مدفوعين بدافع الانتصار للنصرانية ، والرغبة بتنصير المسلمين الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم ، واستطاع دينهم الحق أن يغلب النصرانية المحرفة في نفوس أتباعها . ويعد الباحثون هذا الدافع هو أهم الدوافع التي حركت كل من الاستشراق والتنصير . كما أنه يتداخل مع الأهداف الأخرى ، لذلك سيكون تركيزنا عليه مع الإشارة السريعة إلي الدوافع الأخرى .

[1] راجع عبد الرحمن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة / ص ١٢٧ .

و كنت قد أشرت سابقاً في موضوع نشأة الاستشراق إلي أن قيام الدولة العربية الإسلامية الذي شكل خطراً علي أوربا ، مثل كذلك مشكلة سياسية وحضارية عنيدة للغرب الأوربي المسيحي كان عليه أن يجابهها عسكرياً وعقائدياً وتجارياً وحضارياً ، إن التراث العقدي والفكر الأوربي لم يكن كافياً لمجابهة الإسلام كقوة عقدية وفكرية وسياسية .بالإضافة إلي أن الدولة العربية الإسلامية دولة قوية منتصرة ، لم تقاوم الهجمات البيزنطية فحسب بل ردت عليها ، وجعلت من البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية حتي وصلت إلي جنوب فرنسا وإيطاليا وهددت" فيينا " بعد أن أشرفوا علي سواحل بحر الآدرياتيك . [١]

لم تستطع أوربا الوقوف أمام هذا المد العسكري والسياسي ، وقد فشلت الحروب الصليبية المتتابعة والتي دامت قرنين من الزمان في تحقيق الأهداف الرئيسية للكنيسة والأمراء والملوك في أوربا.

وليس هذا فحسب ، فقد كان الفكر والفلسفة والثقافة الإسلامية أرفع درجات من مثيلاتها في أوربا ولهذا شكلت تهديداً خطيراً علي آراء الكنيسة وتعاليمها ، خاصة وأن الفقهاء والعلماء المسلمين ردوا علي آراء الكنيسة حول طبيعة المسيح وعبادة الصور المقدسة ، كما أن آراء الفلاسفة المسلمين وعلي رأسهم "ابن رشد " والتي تسربت إلي أوربا عبر الأندلس وجامعاتها غذت الحركات المنشقة والإصلاحية في المجتمع الأوربي . [٢]والتي بدأت تقارن بين المجتمع الأوربي الزراعي الكنسي والمجتمع الإسلامي التجاري المتحرر من أي شكل من أشكال السيادة الكنسية .وهكذا كان الفشل السياسي والعسكري

[١] راجع قاسم السامرائي / الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية / ص ٨٣ .
[٢] د فاروق عمر فوزي / الاستشراق والتاريخ الإسلامي " القرون الإسلامية الأولي "/ ص ٣٢ / ط أولي / منشورات الأهلية / ١٩٩٨ م / لبنان .

العامل الأكثر فاعلية وراء ظهور حركة التبشير باعتبارها الوسيلة البديلة للحرب التي لم تحقق الهدف المنشود [١]

يقول الدكتور" محمد البهي " : السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوربيين إلي الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولي ، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين آثاراً مريرة مرهقة ، وجاءت حركة الإصلاح الديني التي قام بها "مارتن لوثر " فشعرت طوائف النصرانية من " بروتستانت " و" كاثوليك " بحاجتهم الملحة لإعادة النظر في شروحهم الدينية ومحاولة تفهمها علي أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح . ومن هنا اتجهوا إلي الدراسات العبرانية وهذه أدت بهم إلي الدراسات العربية فالإسلامية، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتي شمل أدبًا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية . [٢] ولهذا يكاد يجمع المؤرخون علي أن انتشار الاستشراق في أوربا – ظهر بصفة جدية لا فردية – بعد فترة ما تسمي بالإصلاح الديني .

ويقول الدكتور البهي أيضاً : ومن جهة أخري رغب النصارى في نشر دينهم بين المسلمين فأقبلوا علي الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي ، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف المستعمرين ، وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن النصرانية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق ، وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته . [٣]وذلك من أجل نشر المسيحية بهذه البلاد بعد أن انكمش سوقها في أوربا ، وبعد أن قامت الثورات الدينية في وجه رجال الدين المسيحي ، وقلب

---

[١] المرجع السابق / ص ٣٣ .
[٢] راجع د . محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي / ص ٥٢٢ / ط الرابعة / مكتبة وهبة .
[٣] المرجع السابق / ص ٥٢٢ .

قادة المسيحية النظر فرأوا ألا نجاة للمسيحية إلا بمحاولة إيجاد حقول جديدة لها ، وانتهوا إلي أن الشرق الفقير الجاهل في نظرهم سيكون الفريسة السهلة للغزو المسيحي . [١]

وقلنا سابقاً أن" لويس التاسع " هو أول من فكر في سلاح التنصير ، وفي جمع كلمة أوربا علي هذا المنهج ، والعمل علي إنشاء قاعدة في الشرق للعمل الصليبي علي الأراضي الممتدة علي ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل فلسطين والأردن ولبنان وسوريا ، وحتى الإسكندرية . [٢]

وقد عمل " ريموند لل "علي تنفيذ خطة لويس التاسع ، فاقترح ضرورة شروع رجال الفكر الأوربي بدراسة الآراء الفلسفية لابن رشد والمناهضة لآراء الكنيسة ، وذلك من أجل الرد عليها ودحضها وبيان زيفها ، إن دعوة لل إلي إحلال التبشير والحوار السلمي محل الحرب بهدف القضاء علي العرب وديانـاتهم الإسلام ، جعلته يحتل المقام الأول بين المبشرين المسيحيين الذين نقلوا المعركة مع الإسلام من ساحة القتال إلي الغزو الثقافي، هذا هو السبب الذي جعل "أرنست رينان "الباحث ذو النزعة العنصرية يعتبر" لل " " بطل الحرب الصليبية الثقافية ضد الرشدية والتي كانت عنده هي الإسلام " . [٣]

وحين قامت جمعيات التبشير ، ووضعت مخططها وهو تحويل المسلمين عن دينهم ونقلهم إلي النصرانية أو اللاتينية . كانت دوافع الاستشراق لدي المبشرين وأنصارهم هي دوافع التبشير نفسها وتتلخص في سلخ المسلمين عن دينهم وإدخالهم في النصرانية وقد بلغ من مساندة

---

[١] راجع عبد المتعال محمد الجبري / الاستشراق وجه للاستعمار الفكري / ص ٨٠ / ط أولي / ١٤١٦ ه – ١٩٩٥ / مكتبة وهبة / القاهرة .

[٢] راجع عماد شرف / حقائق عن التبشير / ص ٩ / المختار الإسلامي / ط أولي / ١٣٩٥ ه - ١٩٧٥م .

[٣] راجع فاروق عمر فوزي / الاستشراق والتاريخ الإسلامي / ص ٣٣ ، ٤٤ / مرجع سابق .

الاستعمار الانجليزي لدعاة التبشير أن المستشار الإنجليزي " دنلوب " أمر وزير الأوقاف المصري بإلغاء المستشفي التي بنتها في مصر القديمة بجوار مستشفي " هرمن " التبشيري ، لأنه في رأيه يصرف كثير من فقراء المسلمين عنهم فيحرمون من التبشير بالنصرانية . كما أمر اللورد بتعطيل مجلة المنار لأنها ترد علي المبشرين .[١]

وقد اعترف " يوهان فوك " بالدافع الديني التبشيري في صراحة فقال : إن الاستشراق لم يكن عملاً علمياً محضاً ، بل إن المراد منه هو الرد علي الإسلام ، والتبشير بالنصرانية بين المسلمين ، وذلك بتراجم عربية للإنجيل ، وكان ذلك في كتابه " تاريخ الاستشراق والمستشرقين في أوربا بدءاً من القرن التاسع عشر " وقد نشره سنة ١٩٤٣م ، ثم وضع رسالة أخري عن الدراسات العربية في أوربا سنة ١٩٥٥م لتأكيد هذا المعني . [٢]

يقول ساسي سالم الحاج : " استغل التبشير بعد الحروب الصليبية كمحاولة للتنفيس عن الهزائم العسكرية التي منيت بها أوربا ، بعد حروب طاحنة امتدت قرنين من الزمان ، حاولت فيها بكل الوسائل البقاء الأبدي في الشرق والسيطرة علي بيت المقدس " . [٣]

وسجل الحركة الاستشراقية حافل بالكثير من المبشرين ورجال الدين ، الذين لبسوا أردية العلم فوق مسوح الكهان ، وراحوا يشتغلون بالاستشراق لخدمة التبشير . حيث سودوا آلاف الصحائف والمجلدات عرضا للإسلام ، وانتقاصاً منه وطعناً فيه فكانوا بمثابة المصنع الذي يصنع الشبهات ويقذف

---

[١] راجع عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق / ص ٩٦ /مرجع سابق .

[٢] عبد المتعال الجبري / الاستشراق وجه للاستعمار الفكري / ص ١٦ ، ١٧ .

[٣] ساسي سالم الحاج / نقد الخطاب الاستشراقي" الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية / ص ٥٦ .

بالدراسات المناوئة للإسلام والمسلمين ، وكانت الحركة التبشيرية تقوم بدور التسويق والترويج لهذه الدراسات وتوظيفها بما يخدم أغراضهم " ومنذ البداية كان هناك تجاوب في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمبشر الإنجيلي " . [١]

ومن هنا يبرز بوضوح سيطرة الدافع الديني علي كل من المستشرقين والمنصرين ، وليس هذا من قبيل التحامل عليهم وإنما أخذت هذه الحقيقة من أقوالهم .ويقول د . محمد البهي : إن عمل المستشرقين الدارسين للإسلام ، عمل ينطوي علي نزعتين . الأولي : تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية ، وتمهيد نفوس المسلمين لقبول النفوذ الأوربي والرضا بولايته ، والثانية تكمن في نزعة الروح الصليبية في دراسة العالم الإسلامي تحت غطاء البحث العلمي . [٢]

ونستنتج من كلام د . البهي أنه لم تكن غاية وحماسة التبشير و الاستشراق ولا مشاركتهم في التنديد والاستخفاف بالعقيدة الإسلامية عفوياً ولا لغواً ، ولكنه كان غاية مقصودة وموجهة نحو الإسلام والمسلمين فكثفوا جهودهم واستخدموا كل الوسائل من أجل إبعاد المسلمين عن دينهم وإدخالهم في المسيحية إن أمكن ذلك ، فأرسلوا مبشرين تحت غطاء البحث العلمي وهذا ما يفسره قول الله سبحانه وتعالي : " ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدي الله هو الهدي ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير " . [٣]

---

[١] راجع إسماعيل علي محمد / الاستشراق بين الحقيقة والتضليل " مدخل علمي لدراسة الاستشراق / ص ٣٦ / ط الثالثة / ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م .

[٢] محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي / ص ٣٩. / مرجع سابق .

[٣] سورة البقرة /آية ١٢٠ .

ومن المعلوم أن المستشرقين ليسوا ممن ينتمون إلي النصرانية ديناً ففيهم المستشرقون اليهود الذين خدموا اليهودية من خلال دراساتهم الاستشراقية ، كما أن فيهم الملحدين الذين خدموا الإلحاد من خلال اهتمامهم بالمنطقة العربية والإسلامية ومحاولاتهم نشر الإلحاد في هذه البقاع بديلاً عن الإسلام . [١]

ولقد عمل المستشرقون والمبشرون كل ما بوسعهم من أجل صد المسلمين عن دينهم ، بل إن منهم من أفني جهده وعمره من أجل إبعاد المسلمين عن دينهم وهذا هو ما يدل عليه قوله تعالي " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا " . [٢]

وأخيراً لا يخفي أن الدافع الديني قد التحم بدوافع أخري قومية واقتصادية واستعمارية ، وفي ضوء هذه الدوافع استطاعت أوربا أن تتخذ من التراث العربي المكتوب كعقل تاريخي في أقصي درجات تطوره ، نبراساً تشيع به نور الحضارة في ربوع الغرب ، وإذا كانت الفلسفة هي الأساس فإن أهم عمل قام به التبشير و الاستشراق هو ترجمة الكتب الفلسفية من أجل الدفاع عن العقيدة المسيحية ، ولكن هذا الدفاع سرعان ما تحول إلي هجوم ، حيث أدت عوامل الصراع إلي مركزية غربية سلبت كل ما لغيرها ونسبته إلي نفسها وهذا ما فعلته الحضارة اليونانية قبلها . [٣]**وهناك دوافع أخري غير بعيدة عن هذا الدافع وتسير معه جنباً إلي جنب وهذه الدوافع تتمثل في :**

---

[١] نجيب العقيقي / المستشرقون / ج٣ / ٢١٩ ، ٢٢١ / ط الرابعة / القاهرة / دار المعارف .
[٢] سورة البقرة / آية ٢١٧.
[٣] راجع د . محمد ياسين عربي / الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي / ص ١٤٢ ، ١٤٣ / مرجع سابق .

١- : دوافع الكراهية والحقد :

يكاد الكره والحقد الموروثان في نفوس المستشرقين والمنصرين تجاه الإسلام والمسلمين ، أن يكونا عنصر الالتقاء الرئيسي بينهما ، ولا ُيعلم سبب منطقي يبرر وجود هذا الكره والحقد المتأصل في نفوسهم . [١] **إلا أن روح التعصب الذميم هو الذي أملي عليهم الحقد والكراهية ، ويشهد لروح التعصب المشبعة بالكراهية للإسلام والمسلمين ، والحقد عليهما أقوال كثيرة صادرة عنهم ، مضافاً إليها أعمالهم الجماعية المستمرة الدالة علي مبلغ التعصب الذميم المسيطر علي نفوسهم .**

ومن هذه الأقوال مقالة قالها زعماء المبشرين جاء فيها : " ألم نكن نحن ورثة الصليبين ؟ ألم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح ". [٢]

وأيضاً ما ذكره المستشرق الألماني " بيلر " في قوله " إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في القرون الوسطي أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلي البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها . [٣] **بالإضافة إلي أن الإسلام هو الدين القادر علي إظهار زيف النصرانية وتعريتها أمام الناس ، بل إن النصرانية تري فيه قوة ذاتية للتبشير**

---

[١] راجع عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة / ص ١٨٨ / مرجع سابق .

[٢] د . مصطفي خالدي ، عمر فاروخ / التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ص ١١٥ ، ١١٦ / مرجع سابق .

[٣] عبد الرحمن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة / ص ١٩١ . مرجع سابق ، راجع إبراهيم أحمد خليل / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٣٨ / مكتبة الوعي العربي / ١٩٦٤م ، راجع عبد المتعال محمد الجبري / الاستشراق وجه للاستعمار الفكري / ص ١٣٥ .

به ، كما أنها تدرك أن الإسلام قادر علي أن يزيح النصرانية من الوجود إن ترك السبيل له . [١]

من هنا أدرك الغرب النصراني أن الإسلام يمثل تهديداً حقيقياً للنصرانية فهبوا يكتبون عن الإسلام بروح متعصبة وقلوب حاقدة وقامت طلائع المستشرقين تعمل في دأب علي تشويه صورة الإسلام لدي الأوربيين حتى لا يعتنقونه ، ولم يتركوا نقيصة ولا رذيلة إلا وألصقوها بالإسلام ورسوله وتاريخه ورجاله ، من منطلق كراهيتهم للإسلام واعتقادهم بأنه دين معاد للنصرانية . [٢]

وقد صور أحد المستشرقين مقدار الهلع والخوف الذي اجتاح رجال الكنيسة في الغرب من الإسلام ، فقال : " كان المسلمون خطراً علي الغرب قبل أن يصبحوا مشكلة ، كما كانوا في نفس الوقت عامل اهتزاز شديد في بنيان الوحدة الروحية للغرب ، وأنموذجا حضاريا يجتاز بتفوقه ، وبحركته الإبداعية وقدرته الهائلة علي الانفتاح . وقد عبر مثقفو الغرب عن شعور عام بالاندهاش أمام الإسلام ، وبدا ذلك لهم وكأنه خطر علي المسيحية . [٣]

كما كتب أحد هؤلاء في جريدة " الكرستيان اكسبريس"التي تصدر في جنوب أفريقيا " والحرب الكبرى ليست بين المسيحية والوثنية ، بل بينها وبين الإسلام " . [٤]

---

[١] راجع الشيخ محمد الغزالي / كفاح دين / ص ١٧ / دار الكتب الحديثة / ط أولي / ١٩٦٥ .

[٢] راجع اسماعيل علي محمد / الاستشراق بين الحقيقة والتضليل / ص ٢٨ ، راجع كارل بروكلمان / تاريخ الشعوب الإسلامية / ص ٦٧ ، ٧٠ / نقله إلي العربية نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي / ط الخامسة / دار العلم للملايين بيروت / ١٩٧٣ م .

[٣] راجع محمد عبدالله الشرقاوي / الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر " دراسة تحليلية تقويمية " / ص ٣٦ / جامعة القاهرة / ١٩٩٢م .

[٤] محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين / م ٢ / ص ٢١٤ / دار الفكر بيروت .

ولو عقل رجال الكنيسة حقيقة الإسلام- وهم يعرفونها – واستجابوا لنوازع العقل والضمير لعلموا أن الإسلام ما كان يوماً ليرفع راية العدوان ضد أهل الكتاب ، وكيف يعاديهم وهو الذي يقدس المسيح عيسي ابن مريم وأمه البتول ؟ وهو الذي يقدس أنبياء التوراة بل أنه لا يعتبر المسلم موحداً ما لم يعترف بأنبياء التوراة والإنجيل .[١]

إذن لم تكن إلا الأحقاد دافعاً لهؤلاء كي يقفوا هذا الموقف من الإسلام ، علي الرغم من أنهم بنوا أصول حضارتهم علي ما ترجموه وتعلموه من المسلمين وكتبهم ومخطوطاتهم ، فإن كل ذلك لم يفدهم بشئ إلا مضاعفة الأحقاد علي الإسلام والكراهية ضد أبنائه .[٢]

٢: <u>الدافع العدائي " الالتقاء على محاربة الإسلام والقضاء عليه " :</u>

يلتقي المستشرقون والمنصرون علي محاربة الإسلام حيث أن العلاقة بين الشرق والغرب قد قامت علي العداء الديني ، ورفض الإسلام بديلاً للنصرانية في الشرق وغيره ، بما في ذلك حماية النصارى الشرقيين من الإسلام والتأثير علي الأرثوذوكس في الشرق واستقطابهم للكنيسة الكاثوليكية في الغرب .[٣]

فالمستشرقون والمنصرون يلتقون علي محاربة الإسلام ، ومقاومته ومحاولة هدم شرائعه ، وسبب التقائهم علي محاربته واضح لا يحتاج إلي تأمل ، فالإسلام بعقائده الحقة وتعاليمه المشرقة ، ودعوته للناس عامة ، وحيويته الكبرى وفاعليته في نفوس المتمسكين به ، هو الجدار الوحيد الذي يقف دون

[١] راجع محمد عللوه / الغزو الفكري والرد علي افتراءات المستشرقين / ص ٧ / ط أولي / ٢٠٠٢ / دار الأقصى .
[٢] المرجع السابق / ص ٧.
[٣] راجع سعيد عبد الفتاح عاشور / بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته / ص ٧ / القاهرة / عالم الكتب / ١٩٨٧ م

تحقيق مطامع المنصرين والمستشرقين المختلفة . كما أنه هو القوة المحركة التي صدت عن ديار الإسلام هجمات الصليبيين ، والتي قام بها أجدادهم لغزو البلاد الإسلامية حتى اضطروا أن يرضوا من الغنيمة بالإياب . [١]

يضاف إلي ذلك أن الإسلام بما يتمتع به من حق ذاتي استطاع الوقوف في وجه الأديان الأخرى التي يحرص دعاتها علي نشرها ، فاحتل الإسلام مركز الصدارة في التوسع العالمي ، وتقبل الشعوب المختلفة له ، فاعتنقته ودخل في دين الله أفواج كثيرة من اليهود والنصارى والوثنيين الذين رأوا في الإسلام الصورة الصحيحة للدين الرباني الحق ، لذلك عمل المستشرقون والمنصرون علي محاربة الإسلام والنيل منه ، وهدمه هدماً كلياً في نفوس الغربيين أولاً ثم في نفوس المسلمين ثانياً . وقد صرح كثير منهم أنهم يتمنوا لو يمحي الإسلام من العالم . [٢]

وقد ساد الاعتقاد في أوربا حتي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي بأن قتال وإبادة الكفار واجب ، ويقصدون بالكفار : المسلمون وأتباع المذاهب المختلفة الأخرى التي تخالف النصرانية . [٣]

وليس هذا فحسب ، وإنما رأي المبشرون والمستشرقون أن الإسلام دين زاحف شديد المراس ، وبالتالي فإنه لا يتقبل الاستعمار ولا يرتضي بالذل . [٤]

ويعترف كتاب اليهود والنصارى أن الحروب الصليبية نفسها لم تكن لإنقاذ المدينة المقدسة من أيدي المسلمين بقدر ما كانت تهدف إلي تدمير الإسلام تلك القوة الخطيرة الزاحفة . [١]

---

[١] راجع عبد الرحمن حسن حنبكة / أجنحة المكر الثلاثة / ص ١٩٤ / مرجع سابق .
[٢] المرجع السابق / ص ١٩٤ .
[٣] راجع د محمد شامة / الإسلام في الفكر الأوربي / ص ١٢٠ / ط أولي / مكتبة وهبة/ ١٤٠٠ ه – ١٩٨٠م / دار التراث العربي .
[٤] راجع مصطفي خالدي، وعمر فروخ / التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ٤٥ .

ولم يخف المبشرون في كتاباتهم وندواتهم ومؤتمراتهم ، الفزع من قوة الإسلام ، والإلحاح الشديد علي تنصير المسلمين أو زعزعة إيمانهم بدينهم علي الأقل . وفي كتاب "العالم الإسلامي " الذي نشره "زويمر" اليهودي ورئيس المبشرين في أسيا وأفريقيا ، أبدي أسفه إلي أنهم لم يكتشفوا قوة الإسلام وخطره إلا مؤخراً ولكنه طمأن بني قومه إلي أن أبواب التبشير قد غدت مفتوحة في ممالك الإسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية في الهند والصين ومصر وتــونس والجزائر ، وأن في العالم ١٤٠ مليون مسلم يرتقبون الخلاص . [٢]

وهنا نلاحظ أن الدافع الديني والدافع السياسي يتلاحمان في دفع عجلة الدراسات الاستشراقية لكي تسقط تحت ضغط الموروث التاريخي في بئر مظلمة من التعصب والتجاهل والتجني علي الحقيقة .

وإن من دواعي الفخر للإسلام- وهو أمر يحتم علينا الاعتراف بأفضليته - أن موقفه تجاه المسيحية في القرون الوسطي كان متسماً بالسماحة ، إذ لم يحمل أتباعه علي التعصب ضد المسيحيين واضطهادهم ، فبينما نري القرآن يخير الكفار بين الإيمان أو الموت ، يعطي الحرية لأهل الكتاب في إقامة شعائرهم الدينية : يقول الحق تبارك وتعالي : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " . [٣]

---

[١] المرجع السابق / ص ١١٥ .
[٢] ا . ل . شاتليه / الغارة علي العالم الإسلامي / تعريب مساعد اليافي ، ومحب الدين الخطيب / ٧٩ / ط الثانية / منشورات العصر الحديث / ١٣٨٧ه .
[٣] سورة التوبة / آية ٢٩ .

أما في الجانب المسيحي فقد فجرت تلك العداوة التاريخية بين المسلمين والمسيحيين غضباً دفعهم إلي وصف محمد صلي الله عليه وسلم بأوصاف لا تليق بنبي يؤمن بدعوته الملايين من بني الإنسان ، كما هاجموا مفهوم التوحيد عند المسلمين علي الرغم من أنهم يدعون أن المسيحية دين توحيد ، واتجهوا إلي كل ما من شأنه أن يحط من قدر الإسلام في نظر الناس . وسوف نفصل القول ذلك في المبحث القادم إن شاء الله .

ثالثاً : دوافع يهودية " أصابع اليهود " :

ولا ننسي أصابع اليهود في هذين السلاحين الجبارين الذين وجها ضد الإسلام والمسلمين يقول د عبد الله التل : " إنني أعتقد أن العامل الأول في تطوير هذين السلاحين واستخدامهما في القرن التاسع عشر والعشرين ضد الإسلام راجع إلي اليهود الذين تظاهروا باعتناق النصرانية ليعملوا علي هدمها من الداخل . أولئك اليهود الذين وصلوا في الرتب الكهنوتية إلي درجات عليا تمكنهم من فرض آرائهم علي الكنيسة وتوجيهها الوجهة التي يريدون . وهم – أي اليهود المتنصرون - بعد أن استطاعوا بمساعدة الجمعيات السرية اليهودية وعلي رأسها الماسونية ، أن يهدموا قوة الكنيسة في أوربا بعد الثورة الفرنسية ، وأن يحاربوا كل شكل من أشكال القوة الروحية عند الإنسان ، وأن يوجهوا الحكومات الأوربية ضد الدين ، اتجهوا عندئذ إلي القوة الروحية الإسلامية ، أملاً في هدمها وجعل الشرق الإسلامي يتجه إلي عبادة المادة ، كما عبد أولئك اليهود الذهب من أيام موسي وهارون إلي يومنا هذا ." [١]

[١] د عبد الله التل / جذور البلاء/ القسم الأول / ١٩٨ / ط أولي / دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع / ١٣٩٠ ه – ١٩٧١م . راجع أيضاً محمد أسد / الإسلام علي مفترق الطرق / ص ٤٣ / نقله إلي العربية الدكتور عمر فروخ / دار العلم للملايين / ١٩٥١ م .

وليس من المصادفة أن نجد أن أكبر المستشرقين منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو اليهودي "جولد تسيهر "، الذي كرس حياته للطعن علي الإسلام ونبي الإسلام والقرآن ، بأسلوب علمي مقنع ، تنبعث منه أحقاد اليهود ومكرهم وخبثهم .

وليس من المصادفة أيضاً أن يكون أكبر المبشرين طوال النصف الأول من القرن العشرين اليهودي " صموئيل زويمر " الذي كان يدير عملية التبشير في ديار الإسلام كلها . إنها أصابع اليهود الذين يخدعون الغرب الأعمى ويدفعون المسيحية الغربية إلي معاداة الإسلام ، ويكتفون بإضعاف الفريقين المسلمين والمسيحيين لتكون لهم في النهاية الغلبة . وليس معني ذلك تبرئة الصليبية الغربية من الجهل والحقد والتعصب والطمع ، وإنما أصر علي أن العامل الأول في الحرب العلمية المستعرة بين الأديان ، ليس إلا يهودياً خبيثاً ماكراً ، سداه التوراة ولحمته تعاليم التلمود الإجرامية . وأصر كذلك علي أن أقلام اليهود هي التي قادت الحرب المستعرة ضد الإسلام ونبي الإسلام محمد صلي الله عليه وسلم فوصفته باللصوصية والشهوانية والسحر . كما زعمت أقلامهم أنه عليه الصلاة والسلام رئس عصابة مصاب بداء الصرع ، وأن المسلمون يعبدونه ويقربون له الضحايا البشرية وجعلت منه أحياناً صنماً من ذهب . [١]

" وبروكلمان " المستشرق العالم يهودي ، يزعم أن محمد صلي الله عليه وسلم دعي وليس بنبي ، وأن كل ما دعا إليه مقتبس من الأنبياء السابقين وعادات الأمم ، كما أن فكرة الثواب والعقاب أخذها محمد صلي الله عليه وسلم

[١] راجع محمد عبد الغني حسن / الإسلام بين الإنصاف والجحود / ص ١٩ / مؤسسة المطبوعات الحديثة .، راجع أيضاً د عبد الله التل / جذور البلاء / ص ١٩٩.

من المصادر اليهودية ونسج حولها تخيلات وأوهام وأكاذيب وأن الصلاة طقوس فارسية ، وتقبيل الحجر الأسود وثنية . [١]

ولا يقل عنهم خطورة المستشرق اليهودي " فنسنك "رئيس تحرير دائرة المعارف الإسلامية ، والتي وضعت بأقلام المستشرقين اليهود والمبشرين من أصل يهودي فجاءت ملأي بالمطاعن علي الإسلام وتاريخهم ودينهم ونبيهم .

ومن العجب أن توضع دائرة معارف وتسمي إسلامية ولا يشترك في تحريرها إلا اليهود والنصارى ، وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا محايدين فيما يكتبون عن الإسلام وهم منذ نشأتهم تشبعوا بالفكرة العدائية للإسلام ، وأخيراً كانوا عون للاستعمار في تحقيق أطماعه في البلاد المستعمرة ، عن طريق التجسس علي البلاد العربية التي يغزوها الغرب . [٢]

رابعاً : دوافع استعمارية واقتصادية :

لعب المستشرقون والمبشرون أدواراً سياسية في غاية الأهمية ، أدت إلي انتشار الاستعمار الأوربي وسيطرته علي العالم الشرقي بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة .

فلم تنقطع أطماع الغرب في الشرق بعد الهزيمة الكبرى في الحروب الصليبية فعكف علماؤه علي دراسة الشرق ،عقائد وعبادات وثروات ولغات وتاريخاً ، ودراسة خصائص الشعوب وأحوالها وجغرافية الشرق ومزاياه والمواقع المهمة فيه ، فعرفوا بواعث الشرق إلي القوة والمجد ، ومواقع الخير والإنتاج ، والعبقرية والتفوق ومواقع الجدب وهزال الإمكانات والمواهب .

[١] راجع محمد الدسوقي / الإسلام والمستشرقون / ص ٤٨ ، ٤٩ / المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / ١٩٦٢

[٢] راجع د عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٠٠ .

[١]فانطلقت الحملات الاستعمارية مستهدفه فيما تهدف إليه القضاء علي الدين . وقد أدرك هؤلاء الغربيون ورايات العثمانيين تخفق إلي جانب بحيرة كونستانس في سويسرا ، أن الإسلام هو العدو الأول لهم ، فكان أن سارت الحملات الاستعمارية إلي جانب جيوش التبشير و الاستشراق وصولاً إلي هدف واحد هو القضاء علي الإسلام .[٢]

فقامت المدارس الكنسية التبشيرية و الاستشراقية الغربية والصهيونية ونظمت جيوش الدعاة والمبشرين والكتاب ، وتقدمت هذه الجيوش الغربية تحتل وتدمر وتستعمر وتستعبد وتنهب خيرات الشعوب .[٣] ولا نبالغ حين نقول : إن الاستعمار امتداد للحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين وأن أهداف الحروب الصليبية قد أودعت في ثقة وأمانه في أيدي المستعمرين ليحققوا تلك الأهداف .[٤]

ولم يعمل الاستعمار الحديث ضد العالم الإسلامي منفرداً وإنما اعتمد علي الاستشراق من جانب وعلي التبشير من جانب آخر ،في فتح المغاليق التي لا يستطيع السلاح وحده أن يفتحها ، وقام هو بجهوده الخاصة من جانب آخر فكانت للاستعمار مؤتمراته وندواته وأجهزته ورجاله وأعوانه .

ولما تمكنوا عسكرياً من الشرق ؛ ولا سيما بعد الحرب العالية الأولي ، أفادوا من خبراتهم في تحطيم قوي الشرق ، وإضعافه روحياً ومعنوياً واستلاب كنوزه العلمية والمادية ، وعرفوا الفئات التي يمكن أن يتخذوا من أهلها صنائع

---

[١] راجع حسن ضياء الدين عتر / وحي الله " حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقد مزاعم المستشرقين "/ ص ٢٥ / ط أولي / ١٤١٩ه – ١٩٩٩م .

[٢] راجع محمد عللوه / الغزو الفكري والرد علي افتراءات المستشرقين / ص ٨ .

[٣] المرجع السابق / ص ٨ .

[٤] راجع د . علي عبد الحليم محمود / الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام / القسم الأول / ص ١٤٢ / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤٠١ ه - ١٩٨١م .

لهم وعملاء، وحاولوا إفقاد الشرق ثقته بنفسه ومبادئه وتراثه وحضارته وتقاليده وآدابه وأخلاقه ، فأمكنهم أن يخرجوا ضعاف النفوس وجهلاء الناس من دين الله أفواجا ، فتم لهم ابتزاز خير الشرق مادياً ، وتخريب شعوبه دينياً ، وتمزيق وحدته وشمله اجتماعياً فأيقظوا الفتن الطافية والنعرة الصليبية في نصاري الشرق[١] وأحيوا الأفكار القومية من عربية وكردية وفارسية وتركية وفرعونية . فتمت لهم الهيمنة علي الشرق بتطبيق مبدأهم الأساسي " فرق تسد" .

"فالاستعمار يري أن المفهوم الإسلامي السليم من شأنه أن يعطي المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره ."[٢]

ومن ناحية أخري رغب المستعمرون في غزو البلاد الإسلامية اقتصادياً ، بهدف الاستيلاء علي ثرواتها الطبيعية ، وإماتة صناعاتها المحلية ، حتى تكون البلاد الإسلامية ميدان استهلاك لما تنتجه الأيدي العاملة الغربية ، فكان أن شجعوا الدراسات الاستشراقية حتي تكشف لهم عن طبيعة العقلية العربية وكيفية التعامل معها .[٣]

يقول" جابر قميحه " : وعلي أية حال أصبح التبشير هو الصورة الجديدة للاستشراق ، وبتعبير أدق هو الصورة الباقية من الاستشراق ، فقد كانت الصليبية مصدراً نفسياً وروحياً وعقدياً ومادياً طيعاً لكثير من المستشرقين علي مدار التاريخ . وأصبح التبشير في وقتنا الحاضر يتمثل في عنصرين :

---

[١] راجع حسن ضياء الدين عتر / وحي الله" حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين " / ص ٢٥ ، ٢٦ / مرجع سابق .

[٢] محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٧٧ .

[٣] راجع عبد الرحمن حنبكه الميداني / أجنحة المكر الثلاثة / ص ٩٣ .

الأول : هو العنصر الأجنبي " الأوربي والأمريكي " في هيئة قسس وعلماء وأطباء ورجال أعمال ينطلقون لمباشرة مهامهم في بلاد العالم الثالث وغاباته وأحراشه .

والثاني : هو العنصر الوطني : ويتمثل في رجال الدين المحليين ، وأغلبهم صنعهم المستشرقون والمبشرون علي أعينهم ، وكثير منهم تخرجوا في الكليات اللاهوتية في أوربا وأمريكا . وفي هؤلاء وهؤلاء ، وفي حركات التبشير الحالية نستطيع أن نري بوضوح الملامح والسمات الآتية :

١-من ناحية الكم : نلمس كثرة العدد ، وتجدد موجات التبشير فقد بلغ عدد المبشرين مائتين وخمسين ألف مبشر ، في مقابل ألفين وخمسمائة داعية مسلم علي مستوي العالم كله !

٢-البراعة والفاعلية والقدرة علي الحركة والتنفيذ : وذلك لأن حركات التبشير وإرسالياته تتحرك وفي حوزتها : رصيد ضخم من المال ، رصيد ضخم من النفوذ السياسي ، رصيد ضخم من التقنية ووسائل الإعلام منها المقروء والمسموع والمرئي ، رصيد ضخم للداعية المبشر من اللغات والثقافة الموسوعية . [١]

وهذه المواجهة- غير المتكافئة – اقتضت من أعداء الإسلام توجيه كل الطاقات والإمكانات ، وتكريس الأنشطة السياسية والاقتصادية والدينية لتحقيق الأهداف التي ذكرناها آنفاً . وقد ركز المؤتمر الاستعماري المنعقد في" أدنبرج "علي ضرورة ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلي الأعمال الأخلاقية والدينية في سياسة الاستعمار الألماني مؤكداً أن نمو الاستعمار إنما يتوقف علي نجاح المنصرين في إدخال الدين المسيحي إلي البلاد

[١] راجع جابر قميحة / آثار التبشير والاستشراق علي الشباب المسلم / ص ٣٧ ، ٣٩ .

المستعمرة . وقد رأى المؤتمر أن : " ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ، لذلك فإن المؤتمر الاستعماري ينصح الحكومة بزيادة الإشراف والمراقبة علي أدوار هذه الحركة . والمؤتمر الاستعماري – مع اعترافه بضرورة المحافظة علي خطة الحياد تماماً في الشئون الدينية – يشير علي الذين في أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه أن يمد نطاق الإسلام ، وأن يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية ، وأن ينتفعوا من أعمال إرساليات التبشير التي تبث مبادئ المدنية خصوصاً بخدماتهم الدينية والطبية . ومن رأي المؤتمر أن الخطر الإسلامي يدعوا إلي ضرورة انتباه المسيحية الألمانية لاتخاذ التدابير من غير تسويف في كل الأرجاء التي لم يصل إليها بعد " . [١]

كل هذه الأهداف ترمي في النهاية إلي تمكين الأوربي المسيحي من المسلم الشرقي ومن وطنه ؛ أي إرساء الاستعمار الغربي بكل صوره ، فلا عجب إذن إن كانت الدول الأجنبية تبسط الحماية علي مبشريها في بلاد الشرق لأنها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها ولثقافتها إلي تلك البلد . [٢]

من كل ما سبق يتضح أن الاستشراق منع منذ البداية خلطاً عجيباً من الدوافع التنصيرية الدينية والسياسية والفكرية والاستعمارية ، ومع هذا لم يستطع الاستشراق أن يتخلي عن هذا الخلط العجيب المتناقض حتى يومنا هذا .كل هذه الدوافع كانت من الأسباب الرئيسة في دفع عجلة الاستشراق والتنصير إلي الأمام .

---

[١] **جابر قميحه / أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتدمير / ص ٩٦ / ط أولي / ١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م / دار التوزيع والنشر الإسلامية .**

[٢] **راجع محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار / ص ٥١٦ / مرجع سابق .**

ويمكن أن نحدد خلاصة ما سبق في عدة نقاط تتمثل في الآتي :

١- أن السبب الرئيسي لاهتمام المستشرقين بالإسلام ، هو خوفهم الشديد من المد الإسلامي الجارف ، الذي يهدم كل المعتقدات الباطلة والمزيفة التي يعتقدون بها .

٢- كل باحث عن تاريخ الاستشراق يستطيع أن يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الدافع الديني كان وراء نشأة الاستشراق وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية .

٣- إن المستشرقين حرصوا علي دراسة الإسلام بتأثير من الكنيسة التي دفعتهم إلي هذه الدراسة ليكتشفوا عناصر القوة في الإسلام فيدعموا بها المسيحية ، ويكتشفوا عناصر الضعف في المسيحية فيبثوها في الإسلام .[١]

[١] راجع محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٥١ .

المبحث الثالث

العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث الأهداف

الناظر في أعمال المستشرقين والمنصرين وجهودهم التي بذلوها في سبيل التعرف علي الشرق وأحواله وديانته وحضارته يتساءل : ما الذي دعا هؤلاء الباحثين الغربيين لبذل كل هذا الجهد والعمر والمال في دراسة غريبة عنهم . مع أنهم لو بذلوها لدراسة مجالات أوربية أخري لكانت أكثر فائدة لهم من الناحية العلمية والمادية . ولسلموا من النقد الذي يوجه إليهم دائماً ، فلا شك أن هناك أهدافاً رئيسية كانت وراء كل هذه الجهود .

لقد أجمع الغرب أمره علي محاربة الإسلام والمسلمين ،وذلك بهدم البنيان من أصوله وجذوره ، ومحاربة الإسلام في نفوس المسلمين ، لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم ، وإضعافه وإبعاده عنهم ، وإشغالهم بمبادئ أخري إن لم تقض نهائياً علي الإسلام ، فإنها تزاحمه وتزلزل أفكاره ، فيسهل القضاء عليه مع الزمن ، ولكن كيف السبيل إلي خوض هذه المعركة غير المسلحة ؟ إنه الاستشراق والتبشير . حيث أن أهداف الفريقين من حيث النتيجة واحدة وهي محاولة القضاء علي الإسلام .

ويقرر كثير من الباحثين الذين درسوا أهداف الاستشراق والتنصير أن الهدف الديني يقف علي قمة هذه الأهداف:

أولها : أن الاستشراق لم يستطع أن يتحرر من إسار الخلفية الدينية حتى نهاية القرن التاسع عشر إلا بدرجة ضئيلة [١] .

[١] راجع محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٧٤ / مرجع سابق .

ثانياً : أن هذه الحروب لم ولن تنتهي حتى قيام الساعة مصداقاً لقول الله عز وجل . " ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدي ولئن اتبعت أهواءهم من بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير " . [١]

ثالثاً : قد حدد أحد المستشرقين الألمان هدف الاستشراق في وضوح وجرأة فقال : كان الهدف من هذه الجهود الاستشراقية في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير ، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام ، واجتذابهم إلي الدين المسيحي " . [٢]

ويقول الدكتور" محمد البهي "إنه رغم الفرق في المنهج والطريقة التي يتخذها كل من التبشير و الاستشراق في سبيل صد المسلمين عن دينهم ، فإنهما وجهان لعملة واحدة مؤكداً ذلك بقوله : " الاستشراق لون من ألوان التبشير لاءم نفسه مع ظروف الحياة وإذا كان الاستشراق نوعاً من أنواع التبشير ، فالتعرف علي هدف التبشير نفسه يعطينا بالتالي صورة عن هدف الاستشراق "[٣]**. ولن نحاول هنا أن نذكر سيئاً مستنتجاً من قراءة أو دراسة ، وإنما سندع النصوص الثابتة لزعماء المبشرين تعبر عن هذا الهدف .وهذا الهدف الديني كان يسير من البداية في اتجاهات متوازية تعمل معاً جنباً إلي جنب ، وتتمثل هذه الأهداف و الاتجاهات فيما يلي :**

---

[١] سورة البقرة / الآية ١٢٠

[٢] رودي بارت / الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية " المستشرقون الألمان منذ تيودوردنولدكه " / ص ٩ / ترجمة د . مصطفي ماهر / نشر دار الكتاب العربي / ١٩٦٧ م .

[٣] محمد البهي/ المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ٦/ الجامع الأزهر / الإدارة العامة للثقافة الإسلامية / مطبعة الأزهر .

أولاً : توهين القيم الإسلامية :

إن التبشير و الاستشراق. كلاهما دعوة إلي توهين القيم الإسلامية والغض من اللغة العربية الفصحى ، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية الحاضرة ، وازدرائها في المحافل الدولية العالمية ، والتبشير و الاستشراق في ذلك سواء .[١]

يقول د محمد البهي : هناك الدعوة إلي أن القرآن الكريم :

١- كتاب مسيحي يهودي نسخه محمد .
٢- الإسلام دين مادي ، يدعو إلي الدنيا لا إلي صفاء القلوب .
٣- الإسلام دين يدعوا إلي القتل والاغتيال ، ويحرض علي القسوة علي غير المسلمين .
٤- كما أنه يدعوا إلي الحيوانية ، والاستغراق في الملذات .[٢] بالإضافة إلي أن الرسول كان راهباً رومانياً غضب علي البابوية وخرج عليها .[٣]

وكثيراً ما يقوم المستشرقون أنفسهم بالاشتغال بآداب العربية والعلوم الإسلامية ليعقدوا الموازنات بينها وبين الآداب الأجنبية . والغاية التي يهدف إليها المستشرقون من هذه الموازنات هو أن يبثوا لبني الإسلام فضل الغرب المسيحي ، أو حتى الملحد علي العالم الإسلامي ، وذلك ابتغاء خلق روح

[١] راجع محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار / ص ٤١٨ / ط ١١ / مكتبة وهبة ، راجع أيضاً عبد المتعال محمد الجابري / الاستشراق وجه الاستعمار / ص ١٣٦، راجع أيضاً إبراهيم أحمد خليل / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٤٠ .
[٢] راجع د . محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ١ / مرجع سابق .
[٣] راجع أنور الجندي / التبشير و الاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥ / ص ٨٠ / مرجع سابق

التخاذل والشعور بالنقص في نفوس الشرقيين بعامة والمسلمين بخاصة ، ثم حملهم بعد ذلك للخضوع للمدنية الغربية المادية . [١]

إن حرب الإسلام أصبحت دون مدافع يرهب إلا بمقدار ،بالأضافى إلى تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزرية بعيدة عن المستوي الحضاري في عصرنا الحاضر .

وقد يعجز المبشرون عن تنصير المسلمين – بل قد حدث ذلك كثيراً – فإذا لم يتحقق لهم إحلال المسيحية محل الإسلام في قلوب المسلمين " قنع المبشرون أن يكون عملهم " الإنساني " مقصوراً علي زعزعة عقيدة المسلمين " . [٢]**وقد نقل عن الكاردينال " لافيجي " الفرنسي – وقد هاله سرعة انتشار الإسلام في إفريقيا – قوله : " لأن يكون الإنسان بلا دين خيراً من أن يكون مسلماً " .** [٣]

وتفريغ المسلم من دينه ، وسلخه عن قيمه الإسلامية العليا قد يغدو هو المهمة الأولي والأساسية عند المبشر ، وقد أكد هذا المعني ، وألح عليه " القس زويمر " رئيس مؤتمر القدس التبشيري بقوله مخاطباً المبشرين أعضاء الإرساليات التبشيرية :

" إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ...فإن في هذا هداية لهم وتكريما ....وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك

---

[١] راجع محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ١٣ . مرجع سابق .
[٢] مصطفي الخالدي ، وعمر فروخ / التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ص ٤٦ .
[٣] محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين / ج٢ / ص ٢١١.

تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام السابقة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه . " [١]

ويقول أيضاً : " ليس غرض التبشير المسيحي وسياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا مسيحيين ، إن المسلم لا يمكن أن يكون مسيحياً مطلقاً ، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة علي استحالة ذلك ، ولكن الغاية التي نرمي إليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون ملحداً أو مضطرباً في دينه ، وعندها لا يكون مسلماً ولا يكون له عقيدة يدين بها ، عندها لا يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد ، والملحد هو أول من يحتقر الإسلام . " [٢]

مما سبق يتضح الخوف الشديد لدي كل من التابعين لاستشراق والتنصير ، من ظهور النموذج الجديد المتمثل في الإنسان المسلم ، الذي أصبح مصدر خطر عليهم بما يمثله من التزام في العقيدة والأخلاق والمعاملة .

<u>ثانياً الحيلولة دون وحدة المسلمين :</u>

يلتقي الاستشراق والتنصير علي هدف آخر آلا وهو الحيلولة دون وحدة المسلمين وتمزيقها والحيلولة دون الالتقاء علي مقومات فكرهم بالطعن فيها وإثارة الشبهات حولها. [٣] " ولا ننسي أن نضيف إلي هذين الأبوين أبا ثالثا هو الصهيونية التي تستهدف من سيطرتها علي الاستشراق الحيلولة دون تجمع العرب في وحدة تقاوم الصهيونية وتواجه إسرائيل " . [٤]

---

[١] سفر بن عبد الرحمن الحوالي / العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة / ص ٥٥٢/ دار الهجرة .

[٢] محمد فتح الله الزياي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٥٠ .

[٣] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة / ص ٧٧ .

[٤] محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٧٧ .

يقول " لورانس براون " : " إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة علي العالم وخطراً ، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً . أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير " . [١]

يفصح القس " سيمون " عن رغبة التبشير في تفريق المسلمين بقوله : " إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ، وتساعدهم علي التملص من السيطرة الأوربية . ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات . ذلك لأن التبشير يعمل علي إظهار الأوربيين في نور جديد جذاب ، وعلي سلب الحركة الإســـــلامية من عنصري القوة والتمركز الذين هما فيها " . [٢]

إن هذه المقولات وغيرها تبرز للعيان أن التبشير قد استخدم لأهداف سياسية ، أهمها إبقاء العرب علي حالة الفرقة والتمزق ، ومنعهم من الإتحاد لأن ذلك سيؤدي إلي سيطرتهم من جديد وإعادة حضارتهم ، كما أن هؤلاء المبشرين يعتقدون أن التبشير هو وحده الكفيل بكسر شوكة الوحدة الإسلامية باعتبارها تكتلاً ضد الاستعمار الأوربي .

وإذا كان التبشير يري هدفه المباشر فى تفكيك المسلمين ، يري بالتالي درء خطر وحدتهم علي استعمار الشعوب الأوربية وعلي استغلالها واستنزافها لثروات المسلمين يقول أحد المبشرين " الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام

---

[١] راجع إبراهيم خليل أحمد / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٣٧ / راجع د عبدالله التل / جذور البلاء / ص ٢٠٢

[٢] مصطفي خالدي ، عمر فروخ / التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ص ٣٧ .

وفي قوته علي التوسع والإخضاع وفي حيويته . إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي " . [١]

ولا يخفي الكاتب اليهودي " أشعيا بومان " قلقه من ازدياد قوة المسلمين بازدياد أعدادهم التي لم تقل أبداً منذ ظهر الإسلام. واعترف أن وجه الخطر علي الغرب من الإسلام هو كونه ليس ديناً فحسب ، بل إن من أركانه الجهاد . وذكر في مقال له في مجلة" العالم الإسلامي " التي يصدرها المبشرون ، أنه ما من شعب دخل الإسلام ثم عاد نصرانياً وأن ما من قوة حاولت الاحتكاك بالقوات الإسلامية التي تعتمد علي البدو وتسند ظهرها إلي الصحراء ، إلا وخسرت أضعاف ما خسره المسلمون . [٢]

ولذلك حض هذا اليهودي كلاً من الإنجليز والفرنسيس علي وجوب السيطرة علي الشواطئ ، ودفع المسلمين إلي داخل البلاد بعيداً عن الشواطئ ، لكي يسهل إضعافهم والقضاء عليهم ..وهناك كثيرون من العرب المضللين السذج الذين يعتقدون أن الغرب يرغب في بقاء الإسلام ليتعاون مع المسيحية في معركة البقاء ضد الشيوعية والعلمانية والإلحاد . [٣]

مما سبق يتضح أن المستشرقون والمبشرون علي اختلاف لغاتهم وجنسياتهم يعملون وفق خطط مدروسة تستهدف إضعاف قوة المسلمين في مختلف المجالات تساندهم وتؤيدهم وترعى حركتهم الدول الغربية .كما أن هؤلاء عندما بدءا يدرسون العالم الإسلامي وحضارته العربية والإسلامية وثقافته وتاريخه ، وبعضهم أفنوا أعمارهم وسخروا جهودهم في دراسة

---

[١] محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ٦ ، راجع أيضاً مصطفي خالدي ، عمر فروخ / التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ص ١٨٤ .

[٢] راجع مصطفي خالدي ، وعمر فروخ /التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ص ١٣١ .

[٣] المرجع السابق / ص ١٨٤ .

مخطوط ، أو تحليل مرحلة تاريخية حضارية ، إنما كان ذلك لتحقيق أهداف واحدة، ودوافع واحدة تكمن وراء عملهم . فالاستشراق والتبشير سبب مباشر لتوهين قوة المسلمين والحيلولة دون وحدتهم .

كما أنه عن طريق الاستشراق ظهرت مختلف النظريات التي استخدمها التبشير والتغريب والاستعمار ، في توهين القيم الإسلامية ، وتفتيت الشعوب العربية الإسلامية ، فعن طريق الاستشراق ظهرت نظريات السامية والآرية من ناحية والفرعونية والفينيقية والبربرية من ناحية أخري . [١]

كما أنه في خطة تحطيم وحدة المسلمين عملت جيوش الغزاة بكل ما لديها لهدم الخلافة الإسلامية ، لأن هذه الخلافة تمثل الحزام الذي يجمع المسلمين في شتي أقطار الغرب . وذلك أن بقاء الخلافة قد يحرك فيهم بواعث نهضة حضارية جديدة ، تنافس الحضارة الغربية المادية ، وقد ظلت الخلافة الإسلامية رمزاً لوحدة المسلمين حتى عام " ١٩٢٤ م " ، حتى ألغاها المدعو " كمال أتاترك " من تركيا ، وقد استقبل العالم الإسلامي نبأ إلغاء الخلافة بحزن شديد وألم ممض ، فقد كانت لهم التاج العظيم الذي توارثوه أكثر من ألف سنة . [٢]

وكان وجود الخلافة يتضمن المعاني التالية :

١-وجود نظام سياسي يجمع شمل المسلمين ، مهما بلغ واقع حال هذا النظام إلي مستوي محزن من الضعف والرمزية بفعل الدسائس الاستعمارية .

٢-بقاء الخلافة يعني بقاء الرابط الذي يبرر للمسلمين الاشتراك والمساهمة في الدفاع الدولي عن بلاد المسلمين ، وحقوقهم ، وإقامة ألوان التعاون فيما بينهم .

---

[١] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥ / ص ٧٩ / مرجع سابق .
[٢] راجع عبد الرحمن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة / ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

٣-بقاء الخلافة يعني اشتراك الشعوب الإسلامية في ديارهم وتمتعهم بحريات تنقلهم وتملكهم وتجارتهم وسائر مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية . [١]

وهناك بجانب تفتيت وحدة المسلمين هدف آخر هو التنفيس عن الصليبية ، وعن الانهزاميات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان أنفقوهما في محاولة الاستيلاء علي بيت المقدس وانتزاعه من أيدى المسلمين الهمجيين على حد وصفهم . [٢]

ثالثاً : الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام :

كذلك يلتقي المبشرون والمستشرقون علي هدف آخر ألا وهو الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام ، ومقاومة ارتداد المسيحيين إلي الدين الإسلامي ، فقد عمل المستشرقون علي تشويه الإسلام وحجب محاسنه لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم كنظام حياة ، ولعل هذا أخطر الجوانب التي قام لأجلها الاستشراق والتنصير .وذلك في أعقاب الحروب الصليبية ، وعودة المحاربين إلي أوربا يحملون صورة مشرقة لمعاملات المسلمين لهم وسماحة الإسلام ، وقد عمد رجال الكنيسة إلي إخراس الألسنة المنصفة ، وحاولوا ترجمة القرآن لتزييف مفاهيمه وانتقاصها ، وقد استغل الاستشراق كراهية الأوربيين للإسلام بعد التوسع العثماني في أوربا ، وعمقوا الكراهية والأحقاد في نفوس الأوربيين وتغذيتها بالشبهات والأباطيل بهدف حجب الإسلام عن أوربا والحيلولة دون نفاذه إليها . [٣]

---

[١] المرجع السابق / نفس الصفحة .

[٢] راجع د . جابر قميحة / أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتدمير / ص ٩٤ / مرجع سابق .، راجع أيضاً محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ٧ .

[٣] د . علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ٢٢ ، راجع أيضاً ساسي سالم الحاج / نقد الخطاب الاستشراقي " الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية / ص

وكان من بين الخطط التي دبرت أن يعمل المبشرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الإسلامي وإظهاره برغم واحديته في صورة أدني إلي الغرائز البشرية ، وأنه يصلح لإشباع النزعات الدينية السطحية دون التعمق ، وزعموا أنه دين يشجع الحياة الجنسية ، ويدعوا إلي الخمول والكسل والجهل ، والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر، وقد عاون المستشرقون فيما بعد علي تثبيت وتأكيد كل هذه الاتهامات ، وتوسعوا فيها وروجوها في مؤلفاتهم علي الرغم من معرفتهم أنها دسائس وإشاعات ملفقة .

فالاستشراق والتبشير عدو واحد، له هدف واحد يسعي ليدركه وهو تشويه الإسلام ، وتمزيق المسلمين وإشاعة البلبلة في أفكارهم وبين صفوفهم ، ولكي يتم له الإمساك بزمام الرأي العام نراه يتقن الظهور بوجهين اثنين : فهو أمام المسلمين باحث لوجه العلم وحده ، فإذا خلا إلي نفسه انقلب فاجراً كفارا ، وهدفه الحيوي في كلا الحالين القضاء علي الإسلام ووقف توسعه ، وما دامت تجاربهم قد أثبتت أنه ليس في وسع قوة واحدة مواجهة الإسلام ، فلابد إذاً من تكتل قوي أوربا جميعها العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعلمية والدينية للانقضاض علي الإسلام في وقت قصير. [١]

ولقد أسهمت كتابات يوحنا الدمشقي " ٦٧٥ ــ ٧٤٩ " الذي يعد اللاهوتي المسيحي الأول الذي يسجل عن الإسلام أنه "هرطقة "أي بدعة مسيحية ، وأن الإسلام ديانة زائفة وأن " الله " ليس هو الرب أو السيد كما يعتقد فيه النصارى ، وأن الإسلام قد اخترعه محمد " صلي الله عليه وسلم " بدوافع الطموح الشخصي ، وأنه قد نشره بحد السيف ، وأسهم ذلك التشخيص

---

٧٩ / مرجع سابق .راجع أيضاً محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ٧٢ .

[١] راجع أحمد سمايلوفتش / فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر / ص ١٢٧ ، ١٢٨ / مرجع سابق .

المبكر في تشكيل صورة محمد صلي الله عليه وسلم في الغرب وزادوا عليها أنه لم تبشر به الكتب السابقة ، ولم تجر المعجزات علي يديه ، ولم يوح إليه بالأسرار ، وأن أي إنسان يمكن أن يصنع ما صنعه محمد الذي سلك طريق النجاح الشخصي بينما عاش عيسي الرب من أجل الإنسانية . [١]

وقد سيطرت هذه الصورة الغربية عن الإسلام علي المستشرقين بحيث أصبحت هي القاعدة العامة ، وأمسي الخروج عليها أمراً استثنائيا ، ومن الواضح أن هذا الهدف مصدره خوف الكنيسة من اقتحام المسلمين لأفكارها ، وهدمها إياها في نفوس النصارى ، فكانت الحملة المضادة لذلك هي التنصير عن طريق الاستشراق .

ولم يترك المنصرون والمستشرقون ميداناً إلا اقتحموه لبث سمومهم وافتراءاتهم ومطاعنهم علي الإسلام ، ونبي الإسلام وأخذوا علي الإسلام تعدد الزوجات ، فأثبتت الأيام حكمة التشريع الإسلامي الخالد ، وملاءمته لضرورات الحياة الإنسانية علي نقيض الحال في بلاد الناقدين الحاقدين ، حيث يتحطم نظام الأسرة ، ويسري الفساد إلي الحياة الاجتماعية بشكل يهدد أركان أمم الغرب بالدمار المحقق . [٢]

وأخيراً نجح اليهود بنفوذهم الجارف في الغرب الأعمى ، في نشر صورة مشوهة عن الإسلام والقرآن والتاريخ الإسلامي . وطمسوا عظمة الإسلام والقوي الكامنة فيه ، ودعوته إلي الخير والعدل والمساواة . وباع علماؤهم ورجال الدين منهم ضمائرهم بسبب الخوف من الإسلام الزاحف . واعترف كثير

---

[١] راجع جوزيف شاخت ، كليفوردبوزورث / تراث الإسلام / ج ١ / ص ٣٠ ، ٣١ / مرجع سابق . راجع أيضاً محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / ص ١٩ / مرجع سابق . راجع أيضاً / راجع أيضاً محمد عبدالله الشرقاوي / الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر / ص ٣٧ / مرجع سابق .

[٢] راجع عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

من المبشرين أنهم مكرهون علي نشر الصورة المشوهة الزائفة عن الإسلام ليبثوا كراهية الإسلام في نفوس أبناء طوائفهم ، فلا تؤثر فيهم تعاليمه السمحة الساحرة . [١]

رابعاً : تأييد الغزو العسكري لبلاد المسلمين :

يشترك الاستشراق والتبشير في تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين والعمل علي تحطيم المقاومة الإسلامية بتأويل الجهاد وصرف أنظار المسلمين إلي الدعة والقعود عن الجهاد في سبيل الله ، ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر ، وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدول الإسلامية وعزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في المجتمع الإسلامي وإحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسيـــة والتربوية لتحل محل الإسلام بالقوة [٢].

ولقد تحدثت سابقاً عن الحروب الصليبية وعرفنا أن نتيجتها كانت مرة ومذهلة لأعداء الإسلام عبر عنها لويس التاسع بقوله " لا سبيل إلي السيطرة علي المسلمين عن طريق الحرب أو القوة ذلك لأن في دينهم عاملاً حاسماً هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد وبذل النفس والدم رخيصاً في سبيل حماية العرض والأرض ، وأنه مع وجود هذا المعني يستحيل السيطرة عليهم ، لأنهم قادرون دومـاً انطلاقاً من عقيدتهم علي المقاومة ودحر الغزو الذي يقتحم بلادهم ، وأنه لابد من إيجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيف هذا المفهوم عند المسلمين ، حتى يصبح مفهوما أدبياً أو وجدانياً ، وإيجاد ما يبرره علي نحو من الأنحاء بحيث تسقط خطورته وإندفاعته ، وأن ذلك لا يتم إلا بتركيز واسع

---

[١] المرجع السابق / ص ٢٠٧ .

[٢] راجع د . علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ٢٢ / مرجع سابق .

علي الفكر الإسلامي وتحويله عن منطلقاته وأهدافه حتي يستسلم المسلمون أمام القوي الغربية ، وتُروض أنفسهم علي تقبلها علي نحو من أنحاء الاحتواء أو الصداقة أو التعاون " . [١]

وانطلاقاً من هذه النتيجة ، وبتوجيه من الكنيسة – سيدة الموقف في ذلك الوقت – نشأ الأسلوب الجديد في المواجهة مع الإسلام ، والذي اعتمد علي عنصرين أساسين هما كما أسلفنا سابقاً الاستشراق والتبشير ، تكفل العنصر الأول بمحاولة فتنة المسلمين مادياً عن طريق إغراء الفقراء منهم، بتقديم المعونات الصحية والتعليمة ، لكي يكونوا أداة طيعة في أيدهم ، والعنصر الثاني تكفل برسم الخطط والأساليب للعنصر الأول ، حتى يستطيعوا من خلال ذلك تزييف المفاهيم والقيم الإسلامية . [٢]

" والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار ، فمكن لهم ، واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق . وأقنع المبشرون والمستشرقون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة للاستعمار الغربي في الشرق . وبذلك سهل الاستعمار لهم مهمتهم ، وبسط عليهم حمايته ، وزودهم بالمال والسلطان ، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره علي أكتاف المبشرين والرهبان ، ثم اتصل بالاستعمار " . [٣]

فالوفاق كان تاماً بين الاستشراق والاستعمار ، حيث ساعد أحدهما الآخر مساعدة فعالة ؛ فالأول كان يعد أبناء وطنه لسحق الشرق والإسلام ، ويصور عالم الشرق عامة والعالم العربي خاصة بصورة قبيحة في أخلاقه وعاداته ، كما يصور الإسلام في صورة منفرة ويلصق به كثيراً من الرذائل والمخازي .

---

[١] محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٤٩ .
[٢] المرجع السابق / ص ٥٠ .
[٣] ابراهيم خليل أحمد /المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٤٢ / مرجع سابق .

ومن ثم تثار النعرات القومية من فرعونية ، وفينيقية ، وآشورية ، حرصاً علي إبعاد الشعوب العربية من منابعها الصافية : الإسلام والعروبة . [١]

ومن المهام الرئيسية للاستشراق إمداد الإرساليات التبشيرية بما تحتاج إليه من الخبراء المستشرقين . فالاستشراق عبارة عن هيئة استشارية عليا ، تعمل علي رسم الخطط ، وإظهار الدراسات التي يجدها المبشرون وسيلة جاهزة للعمل بقوة ضد الإسلام محاولين بذلك إيقاف توسعه . [٢]

فالاستشراق والتبشير كلاهما دعامتان من دعائم الاستعمار، وعملاء التبشير و الاستشراق عملاء للاستعمار وخدام لسياسته . وإن ظهروا بوجوه مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد ، وقد تقاسما جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين. ويلتقي عملاء التنصير بعملاء الاستشراق " فهم الذين دربتهم الدعوة – دعوة التبشير – علي إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة وعلي التنديد والاستخفاف بها . وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق إلي أن يصوغوا هذا الإنكار والتنديد والاستخفاف في صورة البحث ، وعلي أساس من أسلوب الجدل والنقاش في الكتابة أو الإلقاء عن طريق المحاضرة أو الإذاعة ." [٣]

ولعله من العسير جداً الفصل بين الاستشراق والتبشير ، ذلك أن زعماء حركة الاستشراق هم أيضاً أعضاء مرموقون في حركة التبشير ، كما أن الاثنين يسيران بتوجيه واحد مستمد من الدوائر الاستعمارية والكنيسة ، وكذلك يتلقيان

---

[١] راجع جابر قميحة / أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتدمير/ ص ٩١، ٩٢ .
[٢] المرجع السابق / ص ٩٢ . ، راجع أيضاً محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٩٧ .
[٣] راجع ابرهيم خليل أحمد / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٤٠ .

مواردهما المالية من مصدر واحد ، ولذلك فلا غرابة أن يكون الاستشراق عوناً وسنداً للتبشير في إنجاح مهمته . [١]

وقد أكد الدارسون المنصفون في أعمال البعثات التي قام بها المستشرقون إلي بلاد الشرق والعالم الإسلامي أنها لم تكن بعثات علمية خالصة ، وإن قامت باسم العلم وحملت أسماء الجامعات والمعاهد العلمية ، وإنما هي بعثات سياسية ذهب محصولها إلي وزارة المستعمرات . [٢]

مما سبق يتضح أن الاستشراق والتبشير والاستعمار ، يشكلون حلقات تعاون ثلاث متداخلة ، وأن دراساتهم ليست لوجه العلم ، وخاصة حين نري اهتمام وزارات المستعمرات المختلفة بأعمال الاستشراق ونشرها وتشجيعها والبذل في سبيلها مع زميلاتها عمليات التبشير .

خامساً : فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصلية :

وكذلك قام الاستشراق والتنصير بفصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصلية بتشويه تلك الأصول وعزلها عن مصادرها ، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين ، ومن شأن هذا أن يفتح الباب إلي الاستسلام أمام الاستعمار والتأثير في نفوس المسلمين ، وزحزحة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحي باباً وطريقاً إلي تحويل بعض ضعاف العقيدة إلي ملاحدة وأتباع . [٣]

---

[١] راجع محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٩٧ / راجع أيضاً جابر قميحة / أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتدمير / ص ٩٣ / مرجع سابق .

[٢] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥ / ص ٧٩ / مرجع سابق .

[٣] راجع د . علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ٢٢ / مرجع سابق .

وبما أنهم من تجاربهم الطويلة أدركوا استحالة ارتداد المسلم عن دينه ، فقد رسموا خططهم ، وبنوا آمالهم علي زعزعة عقيدة المسلم وتشكيكه بدينه وخلق فجوه بين المسلمين وأصولهم العريقة المجيدة ، فيسهل بذلك القضاء علي كيانهم الإسلامي الشامخ ويتحولون إلي قطيع من الأغنام يمكن استغلالها أو سوقها للذبح عند الحاجة . وقد جهر كبير المبشرين " صموئيل زويمر " اليهودي في ٢ أغسطس سنة ١٩١١ ، برأيه الصريح في أعمال المبشرين البروتستانت حين اعترف أن للتبشير في البلاد الإسلامية مزيتان : مزية هدم ومزية بناء ، ويعني بالهدم انتزاع المسلم من دينه ولو إلي الإلحاد ، ويعني بالبناء تنصير المسلم إن أمكن . [١]

وما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، فلابد إذن من تسهيل التحاقهم بالمدارس العلمانية التي تساعد في القضاء علي الروح الإسلامية عند الطلاب . [٢] **ولما كانت أصابع اليهود هي المحرك الأول للاستشراق والتبشير ، فقد فرضت آرائها وخططها لهدم الإسلام . وكان علي رأس تلك الخطط نشر التعليم العلماني وإبعاد الشباب المسلم عن التعليم الديني والفصل بين الإسلام والتعاليم الإسلامية وبين وسائل الحياة المادية التطبيقية .** [٣]

---

[١] ا. ل شاتليه / الغارة علي العالم الإسلامي / ص ١٦ / ترجمة مساعد اليافي ، ومحب الدين الخطيب .
[٢] المرجع السابق / ص ٨٢ .
[٣] راجع د . عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٠٥ .

إنهم لا يريدون إلا إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ليسهل علي الاستعمار تشديد وطأته عليهم ، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم فيكونون عبيداً لها . [١]

وقال المبشر اليهودي " وليم جيفورد بالكراف " : " متى تواري القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نري العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه " . [٢] **والحضارة في نظر المستشرقين والمبشرين هي اعتناق المسيحية ، ومن بعدها يرحب العرب بالمستعمرين لأنهم علي دينهم .**

والخلاصة فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين يمهدون السبيل أمامهم لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، ويفتحون أمام دعاة النصرانية السبيل للطعن في الإسلام ونبيه صلي الله عليه وسلم بأنواع شتي من الشعوذة العلمية باسم البحث والاستنتاج التحليلي .

سادساً : أوربية الفكر الإنساني قاطبة .

أجمع الطرفين " المستشرقون والمنصرون " علي القول بمركزية الحضارة الإنسانية وارتباطها بأوربا وشعوبها ، وهذا ما تجده واضحاً في كتابات المستشرقين والمنصرين ومن دار في فلكهم من الكتاب العرب الذين يقومون بدورهم في تحقيق أهداف المبشرين في القول بأوربية الفكر الإنساني قاطبة ، والقول بضرورة الأخذ بالنموذج الأوربي واقتفاء أثره إذا أراد المسلمون أن يعيشوا عصرهم وحضارتهم . فهاتين الظاهرتين وجهان

---

[١] راجع د مصطفي السباعي / الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم / ص ٣١ / دار الوراق للنشر والتوزيع / المكتب الإسلامي .

[٢] ا. ل . شاتليه / الغارة علي العالم الإسلامي / ص ٩٣ ، ٩٤ .

لعملة واحدة ، وهي موقف الغرب من الإسلام ، وماذا يريد الغرب من الشرق الإسلامي ؟ [١]

وقد ولد هذا الشعور ، شعوراً بالاستعلاء والفوقية علي بقية أمم الأرض ، بما فيها المسلمون ، وأن هذا الشعور بالفوقية قد انطلق من الكنيسة الغربية باحتكار كل ما هو غير بابوي النحلة والهوى ، وقد تسرب هذا الشعور " رويداً بتأثير وعاظ الكنائس والقسس والرهبان ، فخلق فيهم حالة نفسية استعلائية ، صبغت العقلية الغربية والفكر الغربي في القرون الوسطي " . [٢]وقد صدق المستشرقون هذه النظرة " ولم يكلفوا أنفسهم تبديلها مع عيشهم الطويل بين المسلمين أو من زيارتهم المتكررة واطلاعهم علي القرآن الكريم والحديث الشريف " .[٣]واستمر شعورهم العميق بتفوق ما لديهم إن حقاً وإن باطلاً ، في الوقت الذي رأوا فيه بطلان ما لدي غيرهم لعدم اتفاقه مع ما لديهم من دين وثقافة وفكر . حيث أنهم " رأوا أنه من الواجب الإنساني !! أن يحضروا هذه المجموعة من البشر التي لا تختلف إلا قليلا عن الحيوانات ، وذلك بتصدير المثل الحضارية الأوربية لهم . ولم تزل الدعوة إلي تصدير الحضارة الغربية شعاراً للمبشرين الذين أعياهم عناد المسلمين " المتعصبين لقبول الحضارة النصرانية " . [٤]

يقول محمد عبده رداً علي ادعاءات المستشرقين والمبشرين في هذا الصدد : " إن أول شرارة ألهبت نفوس الغربيين فطارت بها إلي المدنية الحاضرة كانت من تلك الشعلة الموقدة التي كان يسطع ضوءها من بلاد الأندلس علي ما جاورها ، وعمل رجال الدين المسيحي علي إطفائها مدة قرون

---

[١] راجع محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة / ص ١٠١ / مرجع سابق .
[٢] قاسم السامرائي / الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية / ص ٥٠ .
[٣] المرجع السابق / ص ٥١ .
[٤] المرجع السابق / ص ٥٣ .

فما استطاعوا إلي ذلك سبيلا . واليوم يرعي أهل أوربا ما نبت في أرضهم بعدما سيقت بدماء أسلافهم المسفوكة بأيدي أهل دينهم في سبيل مطاردة العلم والحرية وطوالع المدنية الحاضرة . " [١]

وبذلك تطاول المستشرقون والمبشرون علي التاريخ الإسلامي والمدنية الإسلامية والفكر الإسلامي . وجحدوا فضل العرب علي أوربا والعالم أجمع . وأنكروا الجميل الذي أسداه العرب لأوربا حين كانت غارقة في دياجير الجهل والعبودية والهمجية ، وتجاهلوا مدنية العرب والمسلمين التي غمرت أوربا فأسهمت في نقلها من الجهل إلي ما وصلت إليه اليوم . والمنصفون من علماء الغرب- وهم قلة – لا ينكرون أن الأمم الراقية اليوم تستخدم الأرقام التي تعلمها الجميع عن العرب ، ولولا تلك الأرقام ما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضة والطبيعة والفلك ، بل لما وجدت الطائرات والصواريخ . [٢]

والعلماء المنصفون يعترفون بفضل العرب في ميادين الفلك والطب ويقرون بأن كتب ابن سينا والرازي وابن رشد ، وقد استقبلت في باريس وألمانيا ولندن بثقة وحظوة ، بحيث لم يستطع طبيب في أوربا أن يمارس الطب دون الاعتماد علي ما ورد عن هؤلاء الأطباء العرب الكبار ، وأن مستشفيات العرب قبل القرون الوسطي كانت مثالية وتفتح أبوابها لكل طبقات الشعب بدون تمييز ولا مقابل ، وأن أطباء العرب لم ير العالم لهم مثيلا . [٣]

ولم تنجح الطريقة المنظمة التي تحايل بها التناول الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علي أوربا فظهرت حقائق التفوق العربي في

---

[١] محمد عبده / الإسلام بين العلم والمدنية / ص ٤٥ / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

[٢] المستشرقة الألمانية زيغريدهونكه / شمس العرب تسطع علي الغرب / ص ٦٧ ، ٨٠ / نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، وكمال دسوقي / مراجعة مارون عيسي الخوري / دار بيروت – دار الآفاق الجديدة / ط الثامنة / ١٤١٣ ه – ١٩٩٣ م .

[٣] المرجع السابق / ص ٢١٧ ، ٢٢٩ .

علوم الطب والفلك والجغرافيا والرياضيات والتاريخ الإسلامي وفن العمارة والزخرفة . [١]وثبت لكل عالم لا يعميه التعصب الديني بأن حضارة الإسلام التي عمت أقطار العالم القديم ، لم تكن حضارة ناقلة عن اليونان كما يدعي اليهود والمستشرقون والمبشرون ، وإنما كانت حضارة مبتكرة أصيلة نبعت من خصائص الأمة العربية المشبعة بروح الإسلام ، المسترشدة بتعاليمه السامية الخلاقة . [٢]

وأخيراً زعموا أن الإسلام دين الجهل وأنه سبب تأخر المسلمين ، ولا شك أن هذه افتراءات قذرة وجهل مطبق بالإسلام دين العلم والعمل . فالقرآن الكريم دستور الإسلام الخالد ، يذكر لفظ العلم أكثر من مائة مرة ، في آيات بينان تقديراً للعلم وبياناً لنوره الذي يخرج الناس من الظلمات إلي النور ، ومنها علي سبيل المثال :

قول الله عز وجل : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " .[٣]" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " . [٤]" إنما يخشي الله من عباده العلماء " . [٥]

إلا أنه للأسف كان من نتيجة ذلك أن فتن بعض أبنائنا بالحضارة المادية الغربية ، وتهافتوا علي نيل الشهادات التي تمنحهم درجة الماحستير والدكتوراه من الجامعات الغربية. ولقد أدرك المبشرون والمستشرقون عقدة الشهادات في البلاد الإسلامية فوجهوا توصيتهم للجامعات عندهم ، بشراء ما يستطيعون شراؤه من أبناء المسلمين نظير منحه اللقب .

---

[١] جمال مظهر / مآثر العرب علي الحضارة الأوربية / ص ١٥٩ / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٦٠م .
[٢] د . عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢١٣ .
[٣] سورة الزمر / آية "٩ " .
[٤] سورة المجادلة / آية " ١١ " .
[٥] سورة فاطر / آية " ٢٨ " .

يقول أحدهم : " لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً ، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الأوربية .....إن اعتقادي يقوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالا تاماً جنون الشرقيين للدرجات العلمية ، واستغلال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام . [١]

إن الكنيسة الغربية يملؤها الزهو والافتخار وهي تري أبناء المسلمين يتعلمون دينهم ، ويأخذون لغتهم وفق الطرائق والمناهج التي وصفها أعداء الإسلام لهم ، ونتساءل : هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلم أولادهم أصول ديانتهم وفروعها علي أيدي علماء مسلمين ؟ لا شك أن الجواب سيكون بالنفي ؟ فما بال مسلمي اليوم يسقطون هذه السقطات المريبة ، وينحدرون إلا هذا المنحدر الهابط ويتجاهلون قول الله تعالي " ولن ترضي عنك اليهود حتى تتبع ملتهم " . [٢] **إن الباعث الأول في رأي القائمين علي التبشير إنما هو القضاء علي الأديان غير النصرانية .** [٣]

سابعاً : القضاء على اللغة العربية :

ولا يخفي علي كل باحث أن عامل اللغة من أهم عوامل وحدة الأمة ، فضرب وحدة اللغة ضرب لوحدة الأمة ، ومن هنا انصب اهتمام المنصرين والمستشرقين علي الطعن في اللغة العربية الفصحى .لأنه إذا أمكنه القضاء علي لغة العرب فقد قضي علي الفكر العربي والإسلامي ، وبالتالي علي الشخصية الإسلامية والوجود الإسلامي بشكل عام . ولهذا راحوا يلقون في

[١] راجع عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين / ص ١١، ١٢ .
[٢] سورة البقرة / آية " ١٢٠ " .
[٣] راجع عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين / ص ١٢ .

روع العرب والمسلمين ضعف لغتهم ، وقصورها عن استيعاب العلوم ، وأنه يجب أن تكون لهم لغة أخري ، بل راحوا يدعون أن سبب تأخرهم هو استعمال الفصحى لصعوبتها ، وراحوا يدعون إلي إحياء العاميات المحلية في كل بلد والكتابة بها . [١]

وقد كان " جمال الدين الأفغاني " من أوائل من نبه علي الخطر الخارجي " الاستعمار " ، والداخلي " الاستعمار الثقافي" فقال " يتخذ الغربيون في الشرق أساليب عجيبة للقضاء علي الروح القومية وقتل التربية الوطنية وتقويض الثقافة الشرقية فتراهم يزينون للشرقيين أن ينكروا علي قومهم كل مأثرة ويلقون في روعهم أن ليس في لغتهم العربية أو الفارسية أو الهندية آداب تؤثر ولا مجد يذكر ويوهمونهم أن قصارى المجد للإنسان الشرقي أن ينفر من سماع لغته ، وأن يتباهي بأنه لا يحسن التعبير بها . وأن ما تعلمه من الرطانة الغربية هو غاية ما يستطاع بلوغه من الثقافة الإنسانية . ثم يقول : " ألا ليت الشرقيون يدركون أنه لا لسان لهم وعدم وجود لسان القوم يعني أنه لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم فيهم أساطين يحمون ذخائر بلادهم ويحيون مآثر رجالهم . " . [٢]

وفي السنوات الأخيرة كان المستشرقون يشجعون طلبتهم في جامعات أوبا وأمريكا علي تقديم أبحاثهم عن اللهجات العامية في البلاد العربية، ولم تعد مساعي المبشرين والمستشرقين لتفتيت اللغة العربية خافية علي أحد ، فقد دأبوا علي إذاعة الأراجيف الباطلة حول اللغة الفصحى وقدرتها علي الحياة لأداء متطلبات العصر الحديث في العلوم

[١] راجع محمد عللوه / الغزو الفكري والرد علي افتراءات المستشرقين / ص ١٠٠ / مرجع سابق
[٢] المرجع السابق / ص ١٠٠ ، ١٠١ .

والفنون . وهم يهولون دائماً من صعوبة النحو ، وصعوبة الحرف العربي الجميل محاولين استبداله بالحرف اللاتيني . [١]

وكان هدفهم من ذلك بالدرجة الأولي : القضاء علي لغة القرآن وجعل كتاب الله أثراً تاريخياً قديماً مثل الكتب اللاتينية المحفوظة في المتاحف . ولا لوم عليهم ، واللوم كل اللوم علي أولئك العرب [٢] **الذين انساقوا في التيار الذي كان وما يزال يسعي إلي اجتياح الأصول العربية التي تشكل عناصر البقاء والخلود لهذه الأمة .** [٣]

أما الآن قد استبانت الأهداف التي يعمل من أجلها الاستشراق والتبشير في العالم الإسلامي ، والتي يمكن تجميعها في عنصرين رئيسيين :

١- هدم الإسلام في قلوب المسلمين ، وقطع صلتهم بالله ، وجعلهم مسخاً لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا علي العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة . هذا هو ما أعلنه المبشرون والمستشرقون جهاراً نهاراً ، في تحد صارخ ومواجهة مستكبرة .

٢-إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار والتحكم في مقدراته وإمكاناته .

---

[١] راجع عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٢٠ ، راجع أيضاً محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ٢ . راجع أيضاً محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٨٣ .

[٢] ومن أمثال هؤلاء : اسكندر المعلوف ، سلامة موسي ، عبد العزيز فهمي ، لطفي السيد ، سعيد عقل ، وغيرهم .

[٣] راجع عمر فروخ / القومية الفصحي / ص ١٧٩ / دار العلم للملايين بيروت / ١٩٦١ م ، راجع أيضاً د . عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٢١.

وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه : " ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم " . [١]

وقال سبحانه وتعالي : " ود كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق " . [٢]

وقال تعالي :" يأيها الذين أمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلي صراط مستقيم " . [٣]

وقال أيضاً : " يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي أعقابكم فتنقلبوا خاسرين " . [٤]**وقال عز وجل : " ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون " .** [٥] **وقال أيضاً : " قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر" .** [٦] **وقال جل علاه : " ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدي الله هو الهدي ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير " .** [٧]

---

[١] سورة البقرة / آية " ١٠٥ " .
[٢] سورة البقرة / آية " ١٠٩ " .
[٣] سورة آل عمران / آية " ١٠٠ ، ١٠١ " .
[٤] سورة آل عمران / آية " ١٤٩ "
[٥] سورة آل عمران/ آية "٦٩"
[٦] سورة آل عمران / آية " ١١٨ "
[٧] سورة البقرة آية / " ١٢٠ " .

كل ما سبق يؤكد أن العداوة ستبقي قائمة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإن أظهروا محبة السلام وحب الخير للناس جميعاً . مصداقاً لقول الله عز وجل " ولا يزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم إن استطاعوا " . [١]

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف يستخدم التبشير و الاستشراق وسائل كثيرة ، يطورها بين الحين والحين لتتناسب وروح العصر ، وهو ما سوف نعرض له في المبحث التالي إن شاء الله .

وقد يكون مفيدا للقارئ أن ننبه هنا – كما ذكرنا سلفاً - إلي أن الاستشراق والتبشير وجهان لعملة واحدة ، هي موقف الغرب من الإسلام والمسلمين ، وهذا ما يفسر لنا ما قد يجده الدارس أحياناً من تداخل في قراءة الأسباب والأهداف لكل من منهما . لدرجة أنه ربما ذكر أحد الباحثين أن الاستشراق قد اختفي خلف التنصير ، ويذكر الآخر أن التنصير قد اختفي خلف الاستشراق .من شدة التداخل بينهما .

[١] سورة البقرة / أية ٢١٧

المبحث الرابع

العلاقة بين الاستشراق والتنصير من حيث الأنشطة

لجأ المستشرقون والمبشرون إلي وسائل عديدة ، استخدموها في حربهم ضد الإسلام والمسلمين ، ومن أهم الوسائل التي استخدمت في المعركة :

أولاً : التعليم والطب :

لا عجب أن تتجه قوي الاستشراق والتبشير إلي التعليم باعتباره الوسيلة المثلي للتنصير أو التلحيد علي حد سواء .والنظر إلي التعليم علي أساس أنه الوسيلة الفعالة المثلي يرجع إلي اعتبارات أهمها :

١- أن التعليم في ظاهره - علي الأقل – عملية حضارية لتثقيف العقول ، ونشل النفوس من ظلمات الجهل والتخلف والضياع ، وهو حكم لا يختلف عليه الناس ، ومن ثم لا يكون هدفاً للنقد أو المنع أو التعويق .

٢- أن التعليم يمثل مجالاً خصيباً جداً للتقبل والتشبع والتطبيع العقدي . داخل أسوار الجامعة أو المدرسة ممكن أن يقال كل شئ .

يقول د محمد البهي : " اتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار إلي مجال التربية ، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا "مستغربين " في حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية " . [١]

ولذلك تبلورت في السنوات الأخيرة مراكز العمل بين التبشير و الاستشراق ، فالأول قد ركز في مجال التعليم المدرسي والجامعات والهيئات الإرسالية المختلفة وأهمها دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية ، بحسبانها

[١] د . محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ١٦ ، ١٧ / مرجع سابق

المجال الأسهل والأقدر علي صياغة الأطفال المسلمين صياغة تجعلهم يتقبلون الاستعمار علي أنه حضارة ، ويعترفون بفضل الغرب ، مع الانتقاص من أمته ووطنه ودينه ، وأن بلاده المتأخرة يرجع تأخرها إلي دينها وثقافاتها القديمة ، وقد حرص التبشير علي تلقف الأطفال قبل أن تتكون فيهم مفاهيم الإسلام بحكم البيئة الطبيعية الإسلامية .

أما الاستشراق فقد عمل في مجال البحث العلمي باسم المنهج العلمي ، وقد استخدم الاستشراق الكتاب والمقال وكرسي التدريس في الجامعة ، والمشاركة في المؤتمرات العلمية العامة . وهكذا يشترك التبشير و الاستشراق في العمل من خلال أهم الجوانب التوجيهية الهامة في التعليم والثقافة . [١]

لذلك توسع المبشرون في زرع المدارس والجامعات ، وأنفقوا عليها الملايين . وتواجهنا في أفريقيا هذه الإحصائية المذهلة :عدد المعاهد التعليمية التي أنشأها المبشرون في أفريقيا يبلغ ١٦٦٧١ ، أما الكليات والجامعات فتبلغ ٥٠٠ كلية وجامعة ، ويبلغ عدد المدارس اللاهوتية لتخريج القسس والرهبان والمبشرين ٤٨٩ مدرسة ، أما رياض الأطفال فيتجاوز عددها ١١١٣ روضة . ويبلغ عدد أبناء المسلمين في هذه المؤسسات والمعاهد والذين يخضعون لهؤلاء المبشرين في تعليهم وتربيتهم وتوجيههم أكثر من خمسة ملايين . [٢]

ولجأت الهيئات الاستشراقية والتبشيرية إلي تسخير التعليم الكاذب والطب المخادع لنشر تعاليمها الفاسدة . واستغل المستشرقون الهالة العلمية الزائفة التي أضفاها عليهم عملهم . فعقدوا الندوات العلمية والمحاضرات

---

[١] راجع أنور الجندي / التبشير و الاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥ / ص ٧٥ / مرجع سابق . ، راجع أيضاً عبد الرحمن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة / ص ١٦٠، راجع أيضاً محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة / ص ١٠٣ .

[٢] راجع د . جابر قميحه / آثار التبشير و الاستشراق علي الشباب المسلم / ص ٤٥ . ، راجع أيضاً سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية / ص ٥٥٤.

وأصدروا النشرات والكتب التي ملئوها بالسموم والمطاعن علي الإسلام وتاريخ الإسلام . وكانت الدول الاستعمارية وما زالت سنداً قوياً لهذا الجانب من الحرب ضد الإسلام فأغدقت علي عمليات الاستشراق وذلك بعدة أمور منها :

١-أفسحت للمستشرقين مكان الصدارة في جامعات أوربا وأمريكا ، وأصبح المستشرقون من اليهود أساتذة الكراسي بالجامعة للتاريخ الإسلامي ، ولا نعجب حين يكون المسؤل عن تدريس الإسلام ألد أعدائه . [١]

٢-أشرفوا بدهاء ومكر علي تخريج أعداد كبيرة من العرب والمسلمين ، الذين أخذوا عنهم العلم ، وحملوا الشهادات الجامعية العليا ، وعادوا إلي أوطانهم صوراً من المستشرقين ، إلا أنهم أكثر خطورة منهم . [٢]

وبهذه المجهودات التعليمية الدائبة تتحقق بالنسبة للشباب المسلم احدي نتيجتين :

١-إما تشكيكه في عقيدته ، وزعزعة ثقته فيها لتدمير أخلاقه وقيمه الإسلامية .
٢-وإما تحوله من الإسلام إلي النصرانية .

وهذا ما طرحه " القس زويمر " رئيس مؤتمر القدس التبشيري في خطابه الموجه إلي المبشرين : " لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر علي جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا فيها مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية .

---

[١] ذكر د . السباعي أنه التقي بالبروفوسور " اندرسون " وأخبره أنه أسقط أحد الطلاب عندما تقدم للحصول علي درجة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة لندن وسبب الإسقاط أن هذا الطالب برهن في رسالته علي أن الإسلام أعطي للمرأة حقوقها الكاملة ، وذلك أمر لا يعجب أستاذه الذي قال : إن هذا الطالب يقول أن الإسلام يمنح المرأة كذا ، وقرر الإسلام للمرأة كذا ، هل هو ناطق رسمي باسم الإسلام ؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتي يقول هذا الكلام . راجع مصطفي السباعي / السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / ص ١٣ / ط الثانية / المكتب الإسلامي بيروت / ١٩٧٦ م .

[٢] راجع عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٢٠ .

إنكم أعددتم نشئاً في بلاد المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراه الاستعمار المسيحي : لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والعسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمي المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شئ . " [١]

ويواصل حديثه قائلاً : " إن مهمتكم قد تمت علي أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلي خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضي عنكم الاستعمار ... فاستمروا ، فقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب . " [٢]

وبهذه القناعة بإفساد الأخلاق وتدميرها يصل المبشرون والمستشرقون إلي غايتهم القصوى وهي القضاء علي الإسلام وتمكين الدول الغربية من حكم البلاد الإسلامية . ولكن أي رب هذا الذي يتكلم عنه ذلك المخرب ، وأشياعه من المبشرين الذين جعلوا كل همهم قطع صلة المسلمين بالله ، وإفساد أخلاقهم ، وقتل شخصياتهم ، وهو أشد وأنكي من قتل شخوصهم ، إن المسيح برئ من كل هذا التخريب الذي يحدث باسمه .

ونري مستشرقاً هولندياً مثل " سنوك هورخرونيه " " ١٨٥٧ – ١٩٣٦" يهاجم الشريعة الإسلامية ؛ لأنه كان مؤمناً بأن الثقافة الأوربية لا يمكن أن تنتشل " الجهال المسلمين " إلا إذا تحرروا من" الدين الرجعي "فشجع علي فتح المدارس التبشيرية علي أمل أن " المحمديين " وعلي مدي

---

[١] د سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية / ص ٥٥٣. ، راجع أيضاً د عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٧٥

[٢] المرجع السابق / نفس الصفحة ، راجع أيضاً أحمد عبد الوهاب / حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر / ص ٦٦١ / ط أولي / مكتبة وهبة / ١٤٠١ه – ١٩٨١م .

الزمــن يتحولون إلي النصرانية ، لأن مئات الألوف من السكان يتشوفون للتعليم ، ومثل هذه المدارس التبشيرية التي تنشأ علي النمط الأوربي هي الوسيلة الوحيدة من وجهة نظره لتحقيق حلمه .[١]

" وقد أنشأت الدول الاستعمارية عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق ظاهرياً وكان هدفها الحقيقي خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي ، من هذه المؤسسات في مصر: المعهد الشرقي بدير الدومينيكان ، والمعهد الفرنسي ، وندوة الكتاب ، ودار السلام ، والجامعة الأمريكية ، وفي لبنان : جامعة القديس يوسف " وهي جامعة بابوية كاثوليكية وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية " والجامعة الأمريكية ببيروت ، "وكانت تسمي مــن قبل الكلية السورية الإنجيلية وهي بروتستنتية " ، وفي سوريـا : مدارس اللاييك ، ودار السلام وهكذا في كل الأقطار الإسلامية ."[٢]

ولا تخفي المدارس والجامعات التبشيرية أغراضها التبشيرية ، ومحاولاتها استغلال كل الدروس ، في سبيل تأويلها نصرانياً من أجل إدخال التعاليم المسيحية في نفوس الطلاب . وكان يفرض علي الطلبة المسلمين دخول الكنائس الملحقة بالجامعات والمدارس التبشيرية ، واحتج الطلبة المسلمون عـام ١٩٩٠ م علي إجبارهم علي الدخول إلي الكنيسة في كلية بيروت الأمريكية ، فاحتج مجلس الجامعة وأصدر منشوراً جاء فيه ما يلي : " هذه الكلية مسيحية وأسست بأموال شعب مسيحي . هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية ، وهم أنشأوا المستشفي وجهزوه . كل هذا فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً

---

[١] راجع د قاسم السامرائي / الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية / ص ١٣٤ .

[٢] د . علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ٢٢. ، راجع أيضاً محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة / ص ١٠٨ ، راجع أيضاً د . مصطفي خالدي ، عمر فروخ / التبشير والاستعمار في البلاد العربية / ص ٧١ .

يكون الإنجيل من مواده ، فتعرض منافع الدين المسيحي علي كل تلميذ ....وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية علي كل تلميذ .....وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه " .[١]

وفي مطالع الأربعينات نشطت حركات التبشير في مصر ولم تعد تكتفي بالمدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية بل امتدت إلي مدن ومراكز وقري وقد تسترت تحت ستار " التعليم والتثقيف " أو ما يسمي بمدارس السلام ، وكان تركيزهم علي الأسر الفقيرة ، وإظهار العطف الزائد ومدهم بالطعام والكساء والمال لجذب أبنائهم إلي هذه المدارس ، حتى يتم تنصيرهم . [٢]

فالمبشرون يركزون في خطابهم علي الطبقات الدنيا والفقيرة في المجتمع ، والطبقات التي لا حظ لها من الثقافة والتعليم لتسد رمقها وتروي ظمأها ، والطريق إلي مخاطبة الفقير الجائع هو لقمة العيش وحفنة المال . ولم تسلم أيضاً الطبقات الغنية من حركات التبشير .

تقول احدي المبشرات بالقاهرة : " يوجد في صفوف كلية البنات بالقاهرة ، بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق إلي دحض الإسلام أقصر مسافة من المدرسة " . [٣]

من كل ما ذكر يتضح لنا أنه تحت ستار نشر التعليم والثقافة في بلدان العالم الثالث حول المبشرون دور التعليم بمراحله المختلفة ، وكذلك المؤسسات الثقافية المختلفة إلي حقول خصبة لزرع تعاليم الإنجيل ونشر تعاليم المسيحية

---

[١] راجع محمد الغزالي / دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين / ص ٦.
[٢] راجع جابر قميحه / آثار التبشير والاستشراق علي الشباب المسلم / ص ٤٨ .
[٣] أحمد عبد الوهاب / حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر / ص ١٦٦ / مرجع سابق .

بين أبناء المسلمين من سن الطفولة في دور الحضانة وانتهاء بالتعليم الجامعي ، حيث أسسوا مدارس ومعاهـد تعليمية لكل هذه المستويات وزرعوها زرعاً في معظم البلاد الإسلامية .

ويستغل التبشير آلام الناس في تحقيق مآربه . فقد دأبت هيئات التبشير منذ أوائل القرن العشرين علي الإكثار من الإرساليات الطبية التي هدفها الأول التبشير . والطبقة الفقيرة الجاهلة هي التي تهرع عادة إلي عيادات الإرساليات الطبية المجانية ظانة أنها تؤدي عملاً إنسانيا ، بينما الحقيقة تصرح بأن العمل الإنساني معدوم عند المبشرين ومن يعمل معهم من أطباء وممرضات ، لأنهم يحققون أهدافهم بالمكر والكذب والرياء . [١]

وحين تري هيئات التبشير فائدة من وراء إنشاء مستشفي ، فإنها تقيمه في منطقة حساسة تجني من ورائه الفائدة التي أقيم من أجلها . فمستشفي الهرمل التبشيري الذي بُني في القاهرة اختير له مكان مجاور لمستشفي القصر العيني ، فإمكانات القصر العيني محدودة والعناية فيه سيئة ، والمرضي مكدسون في عنابر، فلا يجد المرضي بديل من التوجه علي مرارة إلي مستشفي الهرمل ، حيث يجدون الابتسامات والتحايا التي تنسيهم آلام المرض ، وهنا تتم اللعبة التبشيرية ، وتوزع الأناجيل الصغيرة ، والنشرات المبسطة ، وتؤخذ العناوين ليواصل الأطباء والممرضات الاتصال بالمرضي البؤساء . [٢]

ولا يخفي المبشرون اهتمامهم بالمستشفيات والمستوصفان ، واستخدامها في تنفيذ خططهم التبشيرية . فقد ذكرت احدي المبشرات لأحد الأطباء : أنه "

---

[١] راجع د. عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٢٤ ، راجع أيضاً الغارة علي العالم الإسلامي / ا. ل شاتليه / تلخيص مساعد اليافي ، محب الدين الخطيب / ص ٤٥ .

[٢] راجع ابراهيم خليل أحمد / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٥٥ ، ٥٦ / مرجع سابق .

يجب أن تنتهز كل فرصة للوصول إلي آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل . إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفان والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص علي الإطلاق . وحين يحاول الشيطان أن يفتنك ويقول لك[١] ، أن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه " .

وفي النهاية كان يمكن أن نعلق علي هذه الحقائق غير الإنسانية ولكن هذا التعليق جاء من الداخل علي لسان أحدهم إذ يقول : "هؤلاء الأطباء الدجالين الذين يتعرضون لمداواة الناس ، فإذا جاء المريض انصرف من عندهم بنسخة جيدة الطبع من الإنجيل وبوصفة علاجية خاطئة ....وبعد أيام يكتشف المريض أن إنجيل الطبيب كدوائه " . [٢]

مما سبق يتبين أن المبشر لا يلجأ إلي الطعن في الإسلام بطريق مباشر وإنما يبدأ حواره مع المسلم بالحديث عن الجوانب الاجتماعية التي تشغله والتي هي نقطة الضعف في حياته ويعاني منها ، عكس المستشرق فإنه يلجأ في مؤلفاته إلي النيل من الإسلام ومن الرسول بشكل مباشر تحت ستار البحث العلمي والموضوعية في البحث – كما يزعمون – ويثير المشكلات التي ما زالت تؤرق المفكر المسلم إلي الآن . [٣]

<u>ثالثاً الصحافة والطبع والنشر :</u>

يدرك المستشرقون والمبشرون خطورة الإعلام وآثاره القوية في محاربة الأفكار والمعتقدات ، والترويج لآخري يراد استبدالها بغيرها.

---

[١] د . مصطفي خالدي / عمر فروخ / التبشير والاستعمار / ص ٦٢ ، ٦٣ / مرجع سابق .
[٢] عماد شرف / حقائق عن التبشير / ص ٥٥ .
[٣] راجع محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير" قراءة تاريخية موجزة "/ ص ١٠٣ / مرجع سابق .

لذلك لم يفت التنصير و الاستشراق استغلال دور النشر والطباعة والصحافة ، وإنما اتخذوا كل وسيلة للوصول إلي غايتهم ،وفي مصر دوراً كبري للنشر تستغل الطلاب النابهين في اللغة العربية ، ويتردد عليها المستشرقون باسم المعرفة والعلم ، فيتلقفون الملكات اللامعة فيوجهونها في الكتابة التي تخدم أغراضهم ، ويتحمل المستشرقون عبء النشر والتوزيع، وتوفير المراجع والدعاية ، فيصبح الشاب بين عشية وضحاها علماً فذاً من كبار الكتاب والمفكرين ، إنها الصليبية أو الصهيونية ، والاستعمار المغلف والجهالة المتعصبة ضد الإسلام تبني كتاباً لها من بين علماء المسلمين . [١]

والمشتغلون بالتبشير و الاستشراق قالوا في صراحة : إنهم استغلوا الصحافة المصرية علي الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية – أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر – ولقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة في أكثر الأحيان ، أو بلا أجر في أحوال نادرة. [٢]

لذلك نري المستشرقون في نشاطهم يركزون علي مخاطبة المثقف بعد اكتشاف ميوله والتعرف علي مزاجه الشخصي ، وكذلك المشتغلين بالسياسة ووسيلتهم في ذلك الكتاب والمقال والندوة والصداقات الشخصية مع كبار المسئولين عن القرار السياسي والثقافي ، والعائدين من البعثات التعليمية بأوربا وغالباً ما تؤتي هذه الصداقات ثمارها في تنفيذ أهداف المستشرقين والتي لا تختلف عن أهداف المبشرين كما قلنا سابقاً ، ولعل النظرة السريعة إلي خريطة توزيع الوظائف المؤثرة ثقافياً في وطننا العربي تؤكد لنا صدق هذه

---

[١] راجع عبد المتعال محمد الجابري / الاستشراق وجه الاستعمار / ص ١٣٧

[٢] حقائق عن التبشير / عماد شرف / ص ٣٢ ، ٣٣. ، راجع محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ١٠ / مرجع سابق .

القضية ، فمعظم العائدين من البعثات خاصة من فرنسا يتبوأون مراكز القيادة الثقافية في بلادهم ، ومن موقعهم الوظيفي يملكون اتخاذ القرار وتنفيذه .[١]

بالإضافة إلي المجلات العلمية التي تحوي الكثير من البحوث حول الإسلام وحول الشرق عموماً ، ومن أشهر تلك المجلات " مجلة الجمعية الأسيوية الملكية بلندن ، ومجلة " الجمعية الشرقية الأمريكية " ومجلة " جمعية الدراسات الشرقية بمدينة جامبير بولاية أوهايو ، ومن أخطر المجلات ذات الطابع الاستشراقي الحاقد مجلة العالم الإسلامي " التي أنشأها عميد التبشير العالمي " صموئيل زويمر " سنة ١٩١١ م ، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة تحمل نفس الاسم .[٢]

والمستشرقون والمبشرون يدعون إلي قراءة الكتب ، فيؤسسون المكتبات العامة ، ويزودونها بمختلف أنواع الكتب في شتي العلوم والفنون ، وبدار طباعة لطبع جريدة أسبوعية باسم" الصداقة " ، ويرسلونها إلي المترددين علي المكاتب ، ويستغلون المكتبة في القيادة التوجيهية للمترددين عليها ، ويعملون مسابقات في المطالعة بتلخيص مجموعة من الكتب تعرضها لجنة المكتبة ، ويمنحون جوائز تشجيعية ، كل هذه الأعمال كفيلة باكتساب صداقة عناصر جديدة .[٣]

وقد استعان التبشير بأفكار ومؤلفات المستشرقين ، ومن الكتب الجدلية التي يستعين بها المبشر للوصول إلي غايته:

١-كتاب " ميزان الحق " للمستشرق الأمريكي " فاندر" .

---

[١] راجع محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية / ص ١٠٢ .
[٢] راجع محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٩٧ .
[٣] راجع ابراهيم خليل أحمد / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٦٦.

٢-كتاب" الهداية " ويقع في أربعة أجزاء ، ويشتمل علي الكثير من المطاعن علي الإسلام والقرآن والنبي صلي الله عليه وسلم .

٣-كتاب " مقالة في الإسلام " للمستشرق " سال " .

٤-كتاب " مصادر الإسلام " للمستشرق " سنكلير تسدل " وهذه الكتب الأربعة تعتبر بالنسبة للمستشرقين والمبشرين من أخطر المراجع للهجوم علي الإسلام والقرآن والرسول صلي الله عليه وسلم . [١]

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون والمبشرون حتى الآن هو إصدار " دائرة المعارف الإسلامية "بعدة لغات وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة ،" والمنجد في اللغة والعلوم والآداب" ، "والموسوعة العربية الميسرة "ومصدر الخطورة في هذا العمل، أنها مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم . [٢] **وقد وضع المستشرقون والمبشرون في هذه الدائرة الشبهات المختلفة التي توصلوا إليها حول الإسلام في ثوب له مظهر علمي ، ولذلك فإن مراجعة مواد هذه الموسوعة يحتاج من الباحثين المسلمين حذر شديد .** [٣]

بالإضافة إلي إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، فتحت وطأة الإعجاب العربي بكل ما هو غربي في العصر الحديث ، يستدعون لإلقاء المحاضرات في الجامعات العربية والإسلامية ، ليتحدثوا عن الإسلام في ديار

---

[١] راجع عبد الرحمن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها / ص ١٦٢ .

[٢] راجع محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي / ص ٤٣٢ / مرجع سابق .، راجع أيضاً د . علي محمد جريشة ، د . محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ٢٦ .

[٣] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥ / ص ٨٠ / مرجع سابق

الإسلام بروح بعيدة عن الإسلام ، ولا شك أن هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره . [١]

وقد سلك المبشرون والمستشرقون كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم واستطاعوا الوصول إلي المؤسسات العلمية الهامة في البلاد العربية والإسلامية وذلك كتسلل البعض منهم ووصولهم إلي المجامع اللغوية ، كالمجمع اللغوي بمصر ، والمجمع العلمي بدمشق ، والمجمع العلمي ببغداد . [٢]

ويقول أنور الجندي : ولم يعد عمل التبشير واضحاً صريحاً اليوم . بعد أن تكونت الأجيال الأولي فأمكن عن طريقها اليوم تقديم الآراء ووجهات النظر التغريبية ، ولا تزال المجلات والأفلام السينمائية ترد إلي العالم الإسلامي من مختلف دول العالم باسم التبادل الثقافي . وهذه الدول ذات المصالح الاستعمارية في العالم الإسلامي لا تقدم إلا أنواعاً معينة من هذه الأفلام والكتب والقصص التي كتبت خصيصاً لتنفذ إلي أعماق النفس البشرية حتى تصبح حقائق موحي بها بتوالي ترديدها . [٣]

<u>المؤتمرات التبشيرية :</u>

المبشرون والمستشرقون يسيرون في تحقيق هدفهم وفق خطط معينه مدروسة يجتمعون من أجلها بين الحين والجين ، لذلك لجأت الهيئات التبشيرية إلي عقد مؤتمرات ، تضم رؤساء الإرساليات المنتشرة في ديار الإسلام . وفي تلك المؤتمرات يتداولون ما تم من أعمال خلال السنوات السابقة ، وفي النجاح الذي تحقق والفشل ودوافعه ، ويضعون الخطط علي ضوء الدراسات والإنجازات

---

[١] راجع محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٩٨ .
[٢] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة / م ٥ / ص ٨٠ .، راجع أيضاً محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ص ٩٩ .
[٣] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة /م ٥ / ص٧٩/ مرجع سابق .

التي تمت في مختلف المناطق ومن أهم المؤتمرات التي عقدوها وتدارسوا فيها مناهج أعمالهم :

١- مؤتمر القاهرة في عام ١٩٠٦ .

٢- مؤتمر بيروت في عام ١٩١١ .

٣- مؤتمر القدس في عام ١٩٢٤ .

٤- ومؤتمر القدس في عام ١٩٣٥.

٥- مؤتمر دلهي في الهند ١٩٦١ . [١]

وفي كل مؤتمر من هذه المؤتمرات تدرس المشروعات ، وتوضع الخطط ثم يجري تنفيذها في سرية تامة وبهمة دائبة .واضعين نصب عينيهم ،هدفهم الأساسي وهو تنصير المسلمين وزعزعة عقيدتهم ، وطالبوا في مؤتمر القاهرة " ١٩٠٦ " بوجوب إنشاء مدرسة جامعة نصرانية لمزاحمة الأزهر الذي يتهدد كنيسة المسيح بالخطر . [٢]

ويعتمد المستشرقون أيضاً علي عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وكان أول مؤتمر عقدوه كان في سنة ١٧٨٣ ، وما زالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم . [٣]

وقد كانت مؤتمرات الاستشراق ولا تزال لا يدعي إليها في الأغلب إلا أصحاب الولاء الواضح للنفوذ الاستعماري والتبشير . وقد وجد في الأعوام المتقدمة من كان يقف في مؤتمراتهم فيرد عليهم ويكشف اتجاهاتهم ويصحح أخطاءهم من

---

[١] راجع ابراهيم خليل ابراهيم / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / ص ٧٥ / مرجع سابق ، راجع أيضاً د . عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٢٦ / مرجع سابق ، راجع أيضاً محمد البهي المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / ص ١٠ / مرجع سابق .

[٢] راجع ا . ل شاتليه / الغارة علي العالم الإسلامي / ص ٣٤ .

[٣] راجع محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار/ ص ٥٢٦ .

أمثال " عبد العزيز جاويش " ، " وأحمد زكي باشا"، أما الآن فإن الأعلام الذين يحضرونها ،هم ممن يرددون ما قاله المبشرون والمستشرقون ، هم جميعاً من تلاميذهم وأتباعهم . [١]

وقد انصب اهتمام كل هذه المؤتمرات الدولية علي تعقب انتشار الإسلام في بلاد العالم . وقدموا إحصاء لعدد المسلمين في آسيا وأفريقيا ، ودرسوا عوامل انتشار الإسلام دون أعمال تبشيرية كالتي يقدمها الغرب ، وأبدوا انزعاجهم الشديد من زحف الإسلام في أفريقيا ، وفي النهاية أجمعوا علي أن عدوهم الأول هو المسلم . [٢]

وفي مؤتمر" أدنبره "عاصمة اسكتلنده ١٩١٠ كشف النقاب عن النفقات الهائلة التي يتم إنفاقها كل سنة ، [٣] **وتقدر المبالغ التي أنفقت في عام واحد بخمسة ملايين من الجنيهات !؟**[٤]**من يصدق ذلك كل هذه الأموال قد أنفقت وكل هذه المعدات قد جهزت ، ومع ذلك الذين خرجوا من الإسلام حثالة قليلة لا تساوي ثمن أحذيتهم ، كما قال " زويمر " " ....لقد صرفنا من الوقت شيئاً كثيرا، وأنفقنا من الذهب القناطير المقنطرة .....ومع ذلك فإننا لم ننقل من الإسلام إلا النصرانية إلا عاشقاً بني دينه الجديد علي أساس الهوى ، أو نصاباً سافلاً لم يكن داخلاً في دينه من قبل ...ومع ذلك فالذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لا يساوي ثمن أحذيتهم " .** [٥]

---

[١] راجع أنور الجندي / التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة / ص ٧٩ .
[٢] راجع د . عبد الله التل / جذوز البلاء / ص ٢٢٧ / مرجع سابق ، راجع عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق / ص ٢٦ ، ٢٧ / مرجع سابق .
[٣] راجع د . عبد الله التل / جذور البلاء / ص ١٢٧ .
[٤] راجع عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق / ص ٣٦ .
[٥] المرجع السابق / ٣٧ .

وصدق ربي في قوله : " إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلي جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه علي بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون " . [١]

إنهم ينفقون أموالهم ويبذلون جهودهم ويستنفدون كيدهم في الصد عن سبيل الله ، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين . والله سبحانه وتعالي ينذرهم بأن أموالهم ستعود عليهم بالحسرة وسينتصر الحق في هذه الدنيا . إن" زويمر" لم يقرأ التاريخ ، ولو قرأه لكفي نفسه وأتباعه مؤنة هذا العدد والعدة التي جهزوها بليل للإجهاز علي الإسلام وأهله وتجاهلوا قدرة الله تعالي وفضله في هذه القضية . قال تعالي : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " . [٢]

الوجه المضئ للاستشراق :

لا يصح أن نختم حديثنا عن الاستشراق والتبشير كسلاحين ضد الإسلام ، دون أن نذكر بأن ما عرضناه وسردناه خلال هذا البحث ، يمثل الوجه الكالح القبيح للاستشراق والتبشير ، والذي ينم عن التعصب الصليبي الأعمى ، والذي عكس تصوراتهم عن الإسلام . وأوضحنا من قبل أن عمل هذه الفئة ينطوي علي نزعتين : الأولي : تمكين الاستعمار الغربي من البلاد الإسلامية .والثانية : سيطرة الروح الصليبية .

ولكن تمثلاً لقول الله تعالي " ولا يجرمنكم شنأن قوم علي ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون " . [٣] كانت تبدو

---

[١] سورة الأنفال / آية " ٣٦ ، ٣٧ .
[٢] سورة الحجر آية " ٩ " .
[٣] سورة المائدة آية " ٨ " .

من هنا أو من هناك بعض أضواء من الحق أو لمعات من الإنصاف ، أو خطرات من حسن التقدير والتفكير، تريح الساري في ظلمات تلك الموجة الجاحدة التي لم تنل من الإسلام قدر ما نالته من أصحابها ومثيريها، فلم يكونوا غير ناطحي صخرة صلدة قوية عنيفة ، لم يضيروها بشئ ، ولم ينالوها بما بيتوا العزم عليه ، ولكنهم كانوا كالوعول حين يوهون قرونهم بنطح الصخور .

هناك علي الصعيد الآخر وجه مشرق لفئة من المستشرقين رصدت أنفسها لخدمة "الحقيقة العلمية "في حياد وجلد وسعة أفق، بعيداً عن روح التعصب والحقد ، إلا أنهم قلة بالنسبة لغيرهم . قالوا كلمة حق بالنسبة للإسلام والرسول الكريم والحضارة الإسلامية .ولابد أن نشير إلي تلك الكلمات ونقتبس منها ليقرأ شبابنا "التقدمي " آراء بعض المنصفين الغربيين الذين يشيدون بالإسلام بينما يحاربه أبناؤه ، ويتنكرون له ، والشهادة من الغربيين مقبولة عند هؤلاء الذين يؤمنون بكل ما هو غربي ، ويزدرون كل ما هو عربي إسلامي ، ويتقبلون كل وارد من الغرب دون أن يتثبتوا ما إذا كان الوارد من الثقافة الغربية " يفعل في جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل المجدد للقوي أو فعل السم " .[١]

أي مسلم منصف يستطيع أن يزعم أن" توماس كارلايل "كان صليبياً متعصباً، وهو يقول عن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم في كتابه الأبطال : " يزعم المتعصبون من النصارى الملحدون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ، ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا وأيم الله ، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير – ابن القفار والفلوات ...العظيم النفس المملؤة رحمة وخيراً

[١] د . عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٣١ .

وحناناً وبراً وحكمة وحجي – أفكاراً غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف السلطة والجاه ....لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ...لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلي النور وأحيا به من العرب أمة هامدة وأرضاً مواتاً . [١]

ويواصل كلامه قائلاً : من العار أن يصغي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلي وهم القائلين أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً لم يكن علي حق .لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة والمخجلة . فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ، ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت ، أكذوبة كاذب ؟ أو خديعة مخادع ؟ ...هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً ، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟ إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد . فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين العديدة من الناس ؟ وعلي ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذباً متصنعاً ، متزرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع ...وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق ، وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . [٢]

وقال العلامة الفرنسي " جوستاف لوبون " في كتابه "حضارة العرب ": " وتُشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض ، وفي هذه السهولة

---

[١] توماس كارليل / الأبطال / ص ٦٩ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ / عربه محمد السباعي / ١٣٤٩هـ – ١٩٣٠ م / المطبعة المصرية بالأزهر .

[٢] المرجع السابق / ص ٥٤ إلي ٥٨ . بتصرف .

سر قوة الإسلام . والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم ، غالباً ، من المتناقضات والغوا مض ، ولا شئ أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة جميع الناس أمام الله " . [١]

وقال المستشرق الإنجليزي" جب ": مازال الإسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتغالبين المتقابلين في دنيا الغرب ، فهو يساوي ويوائم بين الاشتراكية القومية الأوربية وبين شيوعية روسيا ، فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة إلي ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوربا وروسيا ، وليس هناك أية هيئة سوي الإسلام يمكن أن تنجح مثله نجاحاً باهراً في تأليف هذه الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها العدل والمساواة . وإذا وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمي موضع الدرس ، فلابد من الالتجاء إلي الإسلام لحسم النزاع . [٢]

إلا أنه ينبغي أن نلاحظ أن المستشرق ابن بيئته ، وهو لابد أن يتأثر بكل ما كتب عن الإسلام والمسلمين وما قرأه في مجتمعه من صورة باطلة وافتراءات مزيفة ، وفي هذا الشأن يؤكد المستشرق البروفسور" برنارد لويس ": " لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية " . [٣] **إن هذه الحقيقة هي التي تفسر هفوات المستشرقين ،**

---

[١] غوستاف لوبون / حضارة العرب / ص ١٢٣ / ترجمة عادل زعيتر / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

[٢] راجع د . عبد الله التل / جذور البلاء / ص ٢٣٤ ، راجع أيضاً زيد بن عبد العزيز الفياض / نظرات في الشريعة ص ٤٤، ٤٥ ،/ شبكة الألوكة .

[٣] فاروق عمر فوزي / الاستشراق والتاريخ الإسلامي " القرون الإسلامية الأولي " / ص ٣٢ / ط أولي / الأهلية للنشر والتوزيع / المملكة الأردنية الهاشمية / ١٩٩٨

وخاصة المعتدلين منهم ، والذين نعدهم من المؤرخين الذين أنصفوا نسبياً تاريخ الإسلام أكثر من غيرهم .

وأخيراً نقول : كيف يمكن للاستشراق أن يتحرر مع الزمن من أيدلوجيات الغرب وهو وليدها ومن صنعها وخادمها ، والمرتبط بها ارتباطاً جذرياً وعضوياً ، وليس عنده باب واحد مفتوح إلي الحق والإنصاف أو النظرة العلمية الصحيحة يستطيع أن ينفذ منها . [١]

ونتيجة لذلك كله لابد أن نضع في أذهاننا عند أي دراسة استشراقية أموراً لها أهميتها وخطورتها :

١- أن العصر الذي اشتد فيه أزر الاستشراق – هو القرن التاسع عشر – يغلب عليه الطابع العلماني الذي ينكر فيه القوي الروحية التي لا تخضع لمختبراتهم ، وهو العصر المادي الذي استطاع إلي حد كبير أن يتغلب علي رجال الدين الكنسيين .

٢- أن المستشرقين لا يستطيعون أن يتحرروا من أفكارهم السابقة ، ومشاعرهم الموروثة ، نظراً لارتباط الكثيرين بالأغراض التبشيرية المسمومة .

٣- كما أن غربة المستشرقين عن اللغة العربية والإسلام لا يمكن أن تمنحهم الدقة المطلوبة ولا الفكر المستوعب في البحث الموضوعي ، حتى ولو اختص معظمهم طوال حياته بقضية من قضايا الإسلام وعكف علي التراث تحقيقاً وتعليقاً ونشراً . [٢] **ولو كان هؤلاء ينشدون في دراساتهم الوصول إلي الحق ونشر الحقيقة لكان لهم من الفضل علينا مالا نستطيع وفاءه ، ولكن الواقع ينكر عليهم أن يكونوا كذلك .**

---

[١] المرجع السابق ص ٩٤ .

[٢] راجع نذير حمدان / الرسول صلي الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين / ص ١٦.

وخلاصة ما سبق نقول أنه علي الرغم من وجود بعض الإيجابيات للفكر الاستشراقي ، فإن حجم الآثار السلبية وعمق هذه الآثار في المجتمع الإسلامي لا يمكن مقارنته بالفائدة التي تحققت من خلال الآثار الإيجابية .

وأخيراً نقول : إن القيم والأخلاق ومبادئ التوحيد والعدالة والسلام لا يمكن لأعلم أهل الأرض أن يشوه صورتها مهما أوتي من بلاغة وعلم وثقافة ، ومهما أوتي من مكر وحيلة ، لأنها كنور الشمس صفاءً وصدقاً ، ومن عمه العقول عند هؤلاء المستشرقين ظنهم بأنهم قادرين علي إضفاء نور شمس الإسلام وتحـــويل أجيال المسلمين عن دينهم . ولكن المفاجأة أن " مرجليوت " ،"وبروكلمان "، " وفلهاوزن " وغيرهم الكثير لاقوا حتفهم وما زال الإسلام يتلألأ نوره في الأرض ، حتي دان به خمس سكان الأرض تقريباً . ومازالت أفكاره وقيمه وعلومه يصفق العلم لها ويتلاقي معها ، وهنا بهت الذي كفر .

قبل أن ننتقل لاستخلاص نتائج البحث لابد من خطوة ضرورية ، ألا وهي وضع مقترحات في مواجهة الاستشراق والتنصير ، فما هي يا تري تلك المقترحات ؟ هذا ما سنتحدث عنه إن شاء الله .

<u>مقترحات في مواجهة الاستشراق والتنصير :</u>

بعد أن انتهينا من الحديث عن الأنشطة المشتركة بين الاستشراق والتنصير ، وبعد هذه المسيرة ، ما زال هناك سؤال ملح مؤداه ، هل نجح الاستشراق والتبشير وأتي ثمارهما وحققا أهدافهما ؟

هناك من يهون من أمر التبشير ، ويري أنه أخفق إخفاقا ذريعاً ، ولكني أري قصور في نظرة من يرون هذا الرأي ، ولذلك فإني أري أن الاستشراق والتنصير بالمفهوم الذي سقناه قد حقق ، وما زال يحقق نتائج باهرة ، وكثير

من هذه النتائج كانت من عملنا وبأيدينا ، أو علي الأقل أسهمنا بالوعي أو باللاوعي في خلقها وتحقيقها .

وإذا كان الأمر كذلك فلابد من البحث عن علاج يحصن شبابنا ، ويضمن لهم الحصانة الدينية والخلقية ضد كل تيارات التخريب العقلي والديني والخلقي ، وإليك مجموعة من المقترحات في مواجهة الاستشراق والتنصير .

١-تحصين المسلمين بالعلم الشرعي والثقافة الإسلامية ، والتي تجعلهم علي معرفة تامة بثوابت دينهم ، وخصائصه ، وتفوقه علي غيره من الأديان والمذاهب الأخرى ، وأنه الدين الخاتم والحق الموافق للفطرة والعقل ومصالح الناس ، وتبصيرهم بخطط الأعداء ومكرهم .

هذا الجهد التوعوي التثقيفي ينبغي أن تتضافر عليه الجهود الرسمية والشعبية ، عبر مؤسسات التعليم والإعلام والمساجد وغيرها من منابر التوجيه والإرشاد . وينبغي أن نتذكر أن جهود الأعداء الآن تنصب علي إبعاد المسلمين عن مصادر الإشعاع في دينهم ، حتي يكونوا لقمة سائغة لحملات التنصير والتغريب والاستحواذ ، فبقدر اهتمامنا بهذا الجانب يمكن أن نفوت عليهم الفرص .

٢-تعزيز الانتماء إلي الإسلام والوطن الإسلامي ، وأن أغلي ما يملكه المسلم هو دينه وعقيدته ، فإنه يصبر علي الجوع والمرض بل والقتل ، ولكنه لا يصبر علي الكفر ، فالإسلام عقيدته وجنسه وهويته ورأس ماله .

٣-السعي الجاد لتحقيق معاني الأخوة الإسلامية ، والتكافل الاجتماعي بين المسلمين ، وعلاج مظاهر الفقر والعوز ، حتى لا ينفذ المنصرون من هذه الثغرات ، وهذا يقتضي تذكير الحكومات الإسلامية لتقوم بدورها في الاهتمام برعاياها ، وألا تتركهم نهباً للسباع الضاربة من جيوش التنصير و

الاستشراق ، وهنا يتأكد ويتعاظم دور الجمعيات الخيرية الإنسانية ودور المحسنين من أهل الإسلام ، لسد أو دعم ما تعجز عنه الأجهزة الرسمية ، فالمسلمون أمة واحدة يسعي بذمتهم أدناهم ، وينبغي أن يكونوا كالجسد الواحد الذي إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وكالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً .

٤-العمل علي تنبه الجماعات والمنظمات العاملة في حقل الدعوة والإصلاح ، أن تخص جزءاً من اهتمامها لمواجهة التنصير و الاستشراق ، وذلك لتحصين المجتمع من أخطارهما . وفي هذا ينبغي توجيه الجهود وتنسيقها لتؤتي أكلها .

٥-إقامة عمل متخصص لمواجهة الاستشراق والتنصير ، في صورة معاهد ومراكز بحثية لإعداد الدعاة والباحثين والعلماء في مواجهتهما ، والرصد الدقيق لجهوده العالمية والمحلية ، و إعداد البيانات والمعلومات المتعلقة بذلك ، مع العمل علي فضح أساليبهم، وإصدار منشورات ودوريات ومجلات وكتب تعني بهذه الجوانب .

٦-حث الحكومات علي إصلاح التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية لديها ، لأنها من المنافذ التي يتسلل من خلالها التنصير ، وإعانة الحكومات علي ذلك .

٧-حث المحسنين وتجار المسلمين علي تخصيص جزء من أموالهم لمواجهة التنصير ، عبر إقامة مؤسسات لرعاية ضعاف المسلمين واعتبار ذلك من الجهاد بالمال .

نتائج البحث

هذه بحث بسيط عن الاستشراق والتنصير، أردت به إعطاء لمحة موجزة عما يقوم به أعداء الإسلام من أجل الوصول إلي أغراضهم ، ومنذ زمن بعيد فليس ما تراه اليوم من حملات علمانية ضد الإسلام وأهله وليدة يومها ، وإنما هي نتيجة تدبير وتخطيط أخذ حظاً وافياً من الدراسة والبحث والتنقيب ، واعتمدت له الماليات والإمكانيات التي تساعده علي الوصول إلي غايته . وما علي أهل الإسلام – وقد أصبحوا قاب قوسين – إلا أن يستيقظوا بعد هذا الثبات العميق ، وما عليهم إلا أن ينتبهوا بعد تلك الغفلة التي أورثتهم الدعة والكسل والتغني بأمجاد الماضي ، وما علينا إلا الصحوة الصحيحة الهادفة الواعية العارفة لكي نوقف هذا الزحف ونصده كما حدث من أسلافنا . والآن إلي أهم النتائج .

١- الانتشار السريع للإسلام ، في المشرق والمغرب لفت بقوة أنظار رجال اللاهوت وغيرهم من النصارى واليهود إلي الدين ، ومن هنا بدأ الاهتمام بدراسة الإسلام حتى يتعرفوا علي ما فيه من سقطات – في رأي بعضهم – فيكون ذلك مدعاة لصرف أبناء جلدتهم عن الدخول فيه .

٢- كان احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس ، ثم في غمار الحروب الصليبية التي خرج الغرب النصراني منها يجر أذيال الخيبة والهزيمة ، من الأمور التي ألهبت حماس الغرب لدراسة الإسلام بروح عدائية حقود ، فقدت اتزانها واختلت موازينها في نظرتها وحديثها عن الإسلام والمسلمون

٣- الاستشراق ولد أولا في سراديب الكنائس والأديرة ، ووظفه المستشرقون من رجال الدين في الغرب لتحقيق هدفهم في محاربة الإسلام بالافتراء

الحاقد عليه ،والدس الرخيص والكذب ، في محاولة لطمس وتشويه حقائقه ، ووضع الحواجز والسدود بين الشعب الأوربي وتفهم الإسلام كما أنزله الله عز وجل وبلغه صلي الله عليه وسلم ، وقد نجح هؤلاء في تحقيق أغراضهم وحرموا العالم الغربي من نعمة الإسلام وهديه .

٤- العلاقة بين الاستشراق والتنصير علاقة وثيقة ، وفي غاية المتانة ، وذلك أن الاستشراق هو الرافض الآخر للتنصير ، وكلاهما ينبعثان من الكنيسة فهم قساوسة جميعاً ، ويخدمون الكنيسة علي حد سواء ، وتتركز مهمة الجميع في هدم الإسلام ، أو تشكيك أهله فيه ، وتشويه تاريخ الأمة الإسلامية ونبيها ، وجعل العالم الإسلامي مناطق نفوذ للغرب .

٥- أقيمت للمستشرقين مختلف الجامعات لدراســة كيفية التنصير و الاستشراق ؛ للتغلغل إلي ديار المسلمين ، وإلي قلوبهم وإلي استعمار بلدهم ، وإيجاد المبررات لذلك ، ولهذا يجب التنبيه لمغالطتهم أن الاستشراق هو غير التنصير ، وأن الاستشراق يخدم الثقافة بعيداً عن التأثير بأي معتقد ، وقد شاع أن الغرض الحقيقي لدعاة التنصير هو الرغبة في إدخال الناس النصرانية ، ولا ريب أن مــن صدق هذا فقد جانب الحقيقة .

٦- التنصير و الاستشراق وجهان لعملة واحدة ، فالاستشراق لا يختلف عن التنصير ، فأهدافهما واحدة، ودوافعهما واحدة ، تتلخص في محاربة الإسلام والقضاء عليه .

٧- التبشير و الاستشراق دعامتان من دعائم قيام الاستعمار في البلاد التي يغزونها ويمهدونها لاستقبال المستعمرين .

٨- الاستشراق والتبشير والاستعمار كلهم يسيرون حسب خطة مرسومة ، الاستشراق مهمته اجتذاب الناس عن طريق العلم والتعليم ، والتبشير

مهمته اجتذاب الناس بالأعمال الخيرية، وقد تقاسما التبشير و الاستشراق والاستعمار جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين .

٩- الاستشراق في مراحله جميعها ، قد ارتبط بمؤسسات تبشيرية ، وأغراض استعمارية ، و مسؤوليات دولية لم تخف علي أحد من الباحثين المتتبعين .

١٠-الاستشراق عامل مع الكنيسة ، أو عامل مع وزارات الاستعمار ، لا يستطيع أن يخلص إلي الحق ، وإنما يؤدي دوره في إثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير ، ومعاهد الإرساليات لخلق ظاهرة انتقاص العرب والمسلمين وفكرهم ولغتهم وعقائدهم .

١١-الاستشراق والتبشير والاستعمار أشبه بالحلقات الثلاث المتداخلة التي يتخذها التعاون شارة له دلالة علي قوة التماسك .

١٢-للتنصير أهداف معلنة ظاهرة ، وأخري حقيقة توضحها أقوال المستشرقين وأفعالهم ، فالغاية المكشوفة يجاهر بها ساساتهم ورجال الدين والفكر والاقتصاد مجاهرة لا مواربة فيها ، كما يحاول بعض هؤلاء أن يكتموا حقيقة أهدافهم بضروب من المراوغة تأخذ طابع الدعاوي العريضة ، مثل الرسالة الإنسانية ، ونشر الحضارة وبث المدنية ، والنهوض والتقدم ونحو ذلك .

١٣-إن خطة الصليبية الجديدة هي خلق جيل من المسلمين يقضون علي دينهم بأيديهم ، وحسبها أن تقف هي متفرجة لتري كيف يتحقق هدفها في القضاء علي الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين عن طريق غير مباشر ، ومن ثم أرسلت إلي البلاد الإسلامية حشداً كبيراً من المستشرقين والمبشرين ليعملوا جاهدين تحت كل شعار يحقق غايتهم من خلق تقاليد جديدة في العادات والعلاقات وروابط الأسر والجماعات بعيدة عن الإسلام ، ثم الدعوة

إلي بناء المجتمع علي أساس النزعات الطائفية التي تقسم الأمة الإسلامية إلي أمم متفرقة متناحرة متدابرة ، مع محاولة تجريح القيم الإسلامية والمبادئ الدينية ، وتشويه صورها في أذهان المسلمين وإعلاء القيم المسيحية إلي الحد الذي يصور للناس الدين المسيحي علي أنه دين الأمم الراقية بينما الإسلام في زعمهم هو دين المجتمعات المتخلفة .

١٤-العلاقة بين الاستشراق والتبشير متشابكة متداخلة ، في الدوافع والأهداف والأنشطة ، ففي المجلات الاستشراقية المتخصصة وجدنا المبشرين المعروفين من أهم وأبرز كتابها ، ونفس الشئ يقال عن المجلات التبشيرية المتخصصة بحث يصعب التمييز في الغرض والمجال بينهما .

١٥-نجح التبشير والاستعمار في كثير من البلاد الإسلامية ، بتربية أجيال متعاقبة لا تفقه الإسلام ولا تحفظ من القرآن إلا آيات معدودات ، ولذا كان من اليسير جداً غزوهم غزواً فكرياً واسعاً .[١]

١٦-الاستشراق والتنصير يستعمل كل أسلحته لهدم الإسلام ، ويباشر سلطته من أجل افساد المفاهيم الإسلامية والتراث الإسلامي ، ووسيلته في هذا الإفساد تتمثل في المفارقة بين تقدم الأمة المسيحية وتأخر الإسلام .

١٧-لم يكن المبشرين ولا معظم المستشرقين يوماً ينصفون الحقيقة العلمية للعلم ، بل كانت أبحاثهم موسومة بصورة واضحة من أسس عقائدهم ومقاصدهم الخبيث .

١٨-وأخيراً آن للذين آمنوا أن يقفوا صفاً واحداً أمام المنصرين والمستشرقين ، ومن علي شاكلتهم ، ويوحدوا جهودهم وطاقاتهم في دراسة ما خلفه هؤلاء من دراسات وأبحاث وأنشطة علمية أو ميدانية . ولن يتأتي للمسلمين ذلك

[١] راجع د . عبد الرحمن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاث وخوافيها / ص ١٦١

إلا إذا جعلوا من قوله تعالي " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " . مبدأ وغاية .[1]

نسأل الله التوفيق والسداد راجين منه سبحانه أن يوفق المسلمين إلي تخليص فكرهم مما تسرب إليه من أفكار أجنبية والعودة إلي الفكر الإسلامي في مصادره الأصلية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

[1] سورة آل عمران / آية " ١٠٣ " .

قائمة المراجع

١- ا . ل شاتليه / الغارة علي العالم الإسلامي / تعريب مساعد اليافي – محب الدين الخطيب / ط الثانية / منشورات العصر الحديث / ١٣٨٧ ه .

٢- إبراهيم أحمد خليل / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي / مكتبة الوعي العربي / ١٩٦٤ م .

٣- إبراهيم عكاشة علي / ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / دار الثقافة والنشر بالجامعة / ١٤٠٧ه – ١٩٨٧ م .

٤- آبري / المستشرقون البريطانيون / تعريب محمد الدسوقي النويهي / لندن / وليم كولينز / ١٩٤٦ م .

٥- ابن الأثير / الكامل في التاريخ / القاهرة / ١٤٤٣ه .

٦- ابن منظور / لسان العرب / ط الثالثة / د ار صادر / بيروت / ١٤١٤ه .

٧- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجهري الفارابي / الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / تحقيق أحمد عبد الغفور عطار / ط الرابعة / دار العلم للملايين بيروت / ١٤٠٧ه – ١٩٨٧ م .

٨- أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربي / دار نهضة مصر / القاهرة .

٩- أحمد سمايلوفيتش / فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر / منشورات دار الفكر العربي / ١٩٩٨ م .

١٠-أحمد عبد الحميد غراب / رؤية إسلامية للاستشراق / ط الثانية / بيرمنجهام / المنتدى الإسلامي / ١٤١١ه .

١١-أحمد عبد الرحمن السايح / الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي / القاهرة / الدار المصرية اللبنانية / ١٤١٧ ه – ١٩٩٦ م .

١٢-أحمد عبد الوهاب / حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر / ط أولي / مكتبة وهبة / ١٤٠١ ه ــ ١٩٨١ ه .

١٣-أحمد مختار عبد الحميد عمر / معجم اللغة العربية المعاصرة / ط أولي / عالم الكتب / ١٤٢٩ ه ــ ٢٠٠٨ م .

١٤-إدوارد سعيد / خيانة المثقفين " النصوص الأخيرة " / ترجمة أسعد الحسين / دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع / سورية ــ دمشق / ١٤٣٢ه ــ ٢٠١١م .

١٥-أنور الجندي / التبشير و الاستشراق والدعوات الهدامة / دار الأنصار بالقاهرة / ١٩٨٣ م .

١٦-أنور الجندي / أهداف التغريب في العالم الإسلامي / الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية / سلسلة قضايا الأمة .

١٧-أنور الجندي / شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي / المكتب الإسلامي / ١٣٩٨ه ــ ١٩٧٨م .

١٨-التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي / الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية / سنة ١٩٧٨ م .

١٩-توماس كارليل / الأبطال / عربه محمد السباعي / المطبعة المصرية بالأزهر / ١٣٤٩ ه ــ ١٩٣٠م .

٢٠-جابر قميحة / آثار التبشير و الاستشراق علي الشباب المسلم / السنة العاشرة / العدد ١١٦ / العام ١٤١٢ ه ــ ١٩٩١م /

٢١-جابر قميحة / أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتدمير / ط أولي / ١٤٢٣ه ــ ٢٠٠٢ م / دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٢-جمال الدين الشيال / التاريخ الإسلامي وأثرة في الفكر الأوربي في عصر النهضة / دار الثقافة .

٢٣-جمال مظهر / مآثر العرب علي الحضارة الأوربية / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٦٠م .

٢٤-جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث / تراث الإسلام/ محمد رهير السمهوري ، حسن مؤنس ، إحسان صدقي العمد / تعليق وتحقيق شاكر مصطفي / مراجعة فؤاد زكريا / سلسلة عالم المعرفة / الكويت / ١٩٧٨م .

٢٥-حسن ضياء الدين عتر / وحي الله " حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقد مزاعم المستشرقيين " / ط أولي / ١٤١٩ ه ــ ١٩٩٩ م .

٢٦-دومينيك سورديل / الإسلام في القرون الوسطي / ترجمة علي المقلد / ط أولي / دار التنوير للطباعة والنشر / ١٩٨٣م .

٢٧-رودي بارت / الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية " المستشرقون الألمان منذ تيو دور دنولد كه" / ترجمة مصطفي ماهر / نشر دار الكتاب العربي / ١٩٦٧ م .

٢٨-زيد بن عبد العزيز الفياض / نظرات في الشريعة / شبكة الألوكة .

٢٩-زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي / مختار الصحاح / تحقيق يوسف الشيخ محمد / المكتبة العصرية / الدار النموذجية / بيروت صيدا / ط الخامسة / ١٤٢٠ ه ــ ١٩٩٩م . كونويزيقلر / أصول التنصير في الخليج / ترجمة مازن مطبقاني / نشر مكتبة ابن القيم / المدينة المنورة .

٣٠-ساسي سالم الحاج / نقد الخطاب الاستشراقي " الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية " / دار المدار الإسلامي / بنغازي ــ ليبيا .

٣١-سعيد عبد الفتاح عاشور / بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته / القاهرة /عالم الكتب / ١٩٨٧م .

٣٢-سعيد عبد الفتاح عاشور / حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطي / دار النهضة العربية / ١٩٧٦م .

٣٣-سفر بن عبد الرحمن الحوالي / العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة / دار الهجرة .

٣٤-شوقي أبو خليل / أضواء علي مواقف المستشرقين والمبشرين / طرابلس / جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / ١٩٩١م .

٣٥-الشيخ محمد الغزالي / كفاح دين / دار الكتب الحديثة / ط أولي / ١٩٦٥ م

٣٦-عبد التل / جذور البلاء / القسم الأول / ط أولي / دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع / ١٣٩٠ ه – ١٩٧١ م .

٣٧-عبد الجليل شلبي / معركة التبشير والإسلام / ط أولي / مؤسسة الخليج العربي / ١٤٠٩ ه – ١٩٨٩ م .

٣٨-عبد الرحمن بدوي / موسوعة المستشرقين / ط الثالثة / دار العلم للملايين / ١٩٩٣ م .

٣٩-عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني / أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها " التبشير – الاستشراق – الاستعمار " / ط الثامنة / دار القلم / ١٤٢٠ ه – ٢٠٠٠م .

٤٠-عبد الرحمن عميرة / الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق / دار الجيل بيروت .

٤١-عبد اللطيف الطيباوي / المستشرقون الناطقون بالإنجليزية / ترجمة قاسم السامرائي / ١٤١١ه – ١٩٩١م .

٤٢-عبد المتعال محمد الجبري / الاستشراق وجه للاستعمار الفكري / ط أولي / ١٤١٦ه – ١٩٩٥ م / مكتبة وهبة القاهرة .

٤٣-عبد المنعم محمد حسنين / الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش علي دعوته / مجلة الجامعة الإسلامية / العدد الثاني / المدينة المنورة / ١٣٧٩ ه – ١٩٧٦ م .

٤٤-عدنان محمد وزان / الاستشراق والمستشرقون " وجة نظر " / رابطة العالم الإسلامي / ١٤٠٤ ه – ١٩٨٤ م / سلسلة دعوة الحق / ٢٤ .

٤٥-علي جريشة / الاتجاهات الفكرية المعاصرة / ط الثالثة / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع / ١٤١١ه – ١٩٩٩م .

٤٦-علي عبد الحليم محمود / الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام / القسم الأول / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤٠١ ه – ١٩٨١ م .

٤٧-علي محمد جريشة – محمد شريف الزيبق / أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ط الثانية / ١٣٨٩ه – ١٩٧٨ م / دار الاعتصام .

٤٨-عماد شرف / حقائق عن التبشير / المختار الإسلامي / ط أولي / ١٣٩٥ ه – ١٩٧٥م .

٤٩-عمر فروخ – مصطفي الخالدي / التبشير والاستعمار في البلاد العربية " عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلي إخضاع الشرق للاستعمار الغربي " / ط الثانية / منشورات المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / ١٩٨٦ م .

٥٠-عمر فروخ / القومية الفصحى/ دار العلم للملايين بيروت / ١٩٦١ م .

٥١-غوستاف لوبون / حضارة العرب / ترجمة عادل زعيتر / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

٥٢-فاروق عمر فوزي / الاستشراق والتاريخ الإسلامي " القرون الإسلامية الأولي " / ط أولي / منشورات الأهلية / ١٩٩٨ م / لبنان .

٥٣-قاسم السامرائي / الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية / دار الرفاعي للمنشورات والطباعة والتوزيع / ١٤٠٣ ه – ١٩٨٣ م .

٥٤-كارل بروكلمان / تاريخ الشعوب الإسلامية / نقله إلي العربية نبيه أمين فارس – منير البعلبكي / ط الخامسة / دار العلم للملايين / بيروت / ١٩٧٣ .

٥٥-مالك بن نبي / إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث / دار الإرشاد بيروت / ط أولي / ١٣٨٨ه – ١٩٦٩ م .
٥٦-مانع بن حماد الجهني / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب / ط الخامسة / دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع / ١٤٢٤ه – ٢٠٠٠٣ م .
٥٧-مجمع اللغة العربية / المعجم الوسيط / ط القاهرة / ١٩٦٠ م .
٥٨-محمد أسد " / الإسلام علي مفترق الطرق / نقله إلي العربية عمر فروخ / دار العلم للملايين / ١٩٥١م .
٥٩-محمد البهي / الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة / ط أولي / مكتبة وهبة / القاهرة / ١٤٠١ه – ١٩٨١م .
٦٠-محمد البهي / الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي / ط الخامسة / ط الرابعة / مكتبة وهبة .
٦١-محمد البهي / المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام / الجامع الأزهر / الإدارة العامة للثقافة الإسلامية / مطبعة الأزهر .
٦٢-محمد الدسوقي / الإسلام والمستشرقون / المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / ١٩٦٢ م .
٦٣-محمد السيد الجليند / الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة / دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع / ١٩٩٩م .
٦٤-محمد الغزالي / دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين / القاهرة / ١٣٩٥م .
٦٥-محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضي الزبيدي / تاج العروس من جواهر القاموس / مجموعة من المحققين / دار الهداية .

٦٦-محمد حسين هيكل / حياة محمد / ط الرابعة عشر / دار المعارف القاهرة .
٦٧-محمد شامة / الإسلام في الفكر الأوربي / ط أولي / مكتبة وهبة / ١٤٠٠ه ــ ١٩٨٠م / دار التراث العربي .
٦٨-محمد عبد الغني حسن / الإسلام بين الإنصاف والجحود / مؤسسة المطبوعات الحديثة .
٦٩-محمد عبد الله الشرقاوي / الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر " دراسة تحليلية تقويمية " / جامعة القاهرة / ١٩٩٢ م .
٧٠-محمد عبده / الإسلام بين العلم والمدنية / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
٧١-محمد عثمان صالح / النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير " دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات " / مكتبة ابن القيم / ط أولي / ١٤١٠ ه ــ ١٩٨٩ م / المدينة المنورة .
٧٢-محمد عللوه / الغزو الفكري والرد علي افتراءات المستشرقين / ط أولي / ٢٠٠٢ / دار الأقصى .
٧٣-محمد فتح الله الزيادي / ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها / ط أولي / ١٣٩٢ه ــ ١٩٨٣م .
٧٤-محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين / م ٢ / دار الفكر بيروت .
٧٥-محمد ياسين / تأملات في بناء المجتمع الإسلامي / طرابلس / منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / ط الثانية / ١٩٩٠ م
٧٦-محمد ياسين عربي / الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي / ط أولي / المجلس القومي للثقافة العربية / الرباط / ١٩٩١م .
٧٧-محمود حمدي زقزوق / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / مكتبة الشروق الدولية القاهرة / ٢٠٠٨ م .

٧٨-محمود محمد الطناحي / مدخل إلي تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف / ط أولي / ١٤٠٥ ه – ١٩٤٨ م / مكتبة الخانجي القاهرة .

٧٩-المستشرقة الألمانية زيغريدهونكه / شمس العرب تسطع علي الغرب / نقله عن الألمانية فاروق بيضون – كمال دسوقي / مراجعة مارون عيسي الخوري / دار بيروت – دار الآفاق الجديدة / ط الثامنة / ١٤١٣ ه – ١٩٩٣ م .

٨٠-مصطفي السباعي / الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم / دار الوراق للنشر والتوزيع/ المكتب الإسلامي .

٨١-مصطفي السباعي / السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / ط الثانية / المكتب الإسلامي بيروت / ١٩٧٦ م .

٨٢-منذر معالقي / الاستشراق في الميزان / المكتب الإسلامي / ط أولي / ١٤١٨ ه – ١٩٩٧ م .

٨٣-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٨٤-موسي إسحاق الحسيني / الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه / مطبعة الأزهر / ١٩٦٧م .

٨٥-ميكائيل انجلو جويدي / علم الشرق وتاريخ العمران / القاهرة / ١٣٤٩ ه / المطبعة السلفية ومكتبتها .

٨٦-نبيه عاقل / المستشرقون وبعض قضايا التاريخ دراسة تاريخية / ١٤٠٣ ه – ١٩٨٢م .

٨٧-نجيب العقيقي / المستشرقون / ط الرابعة والثالثة / دار المعارف مصر .

٨٨-نذير حماد / الرسول صلي الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين / مطبوعات رابطة العالم الإسلامي .

٨٩-يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة / القاهرة .

٩٠-يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة / ط الخامسة / دار المعارف / مكتبة الدراسات الفلسفية .